ظاهرة الاستدراج
بين معيارية اللغويين وجهود البلاغيين
في ضوء السياق القرآني الكريم

كلية الرشيد الجامعة
قسم اللغة العربية

أ.د. طالب محمد اسماعيل د. طالب حسين علي

٢٠٢٠م/٢٠٢١م

الاهداء

يا رمز محبة الناس/

وجوهر الصدق، وطعم الوفاء

أنودعك ! وأنت في خفقة الروح، ونبض القلب

فيا ايها الغالي (المنذر) لن ننساك ابد الدهر.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
العنوان	١
الاهداء	٢
المحتويات	٣
المقدمة	٥
التمهيد	٧
الفصل الاول – المبحث الاول بلاغة الاعجاز في ظاهرة الاستدراج	١٥
الفصل الاول – المبحث الثاني من اساليب الاستدراج في الحوار القرآني	١٩
الفصل الاول – المبحث الثالث من فنون الاستدراج	٢٦
الفصل الاول – المبحث الرابع فن الاستدراج في اسلوب الرؤيا	٣٢
الفصل الثاني – المبحث الاول اهمية الاستدراج في التعبير عن الخير والشر	٣٩
الفصل الثاني – المبحث الثاني فائدة الاحتجاج باسلوب الاستدراج	٤١
الفصل الثاني – المبحث الثالث الاستدراج للدلالة على الخير والشر	٤٥
الفصل الثالث – المبحث الاول المستوى البلاغي والدلالي لاسلوب الاستدراج	٤٨

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث – المبحث الثاني قال اهل البلاغة	٥١
الفصل الثالث – المبحث الثالث شواهد في الحكمة من الاحتجاج باسلوب الاستدراج	٥٢
الفصل الثالث – المبحث الرابع تنوع اساليب تركيب الاستدراج، ومنها ما يمكن ان نسميه (التقديم الاستدراجي)	٥٤
الفصل الرابع – المبحث الاول من مواضع الاستدراج في مخاطبات الانبياء وخطابتهم	٥٧
الفصل الرابع – المبحث الثاني من مواضع الاستدراج في محاورة الانبياء واقوامهم	٦٣
الفصل الرابع – المبحث الثالث الاستدراج من اساليب الكلام البليغ	٧٧
الخاتمة	٨٩
الشواهد القرآنية	٩٠
من روافد الدراسة	١٠٠
خلاصة الدراسة	١٠٣
المحتويات التفصيلية	١٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لعل من المناسب والمفيد ان يتضمن منهج هذه المحاولة المتواضعة:

أولا: توضيح فكرة موجزة، لبعض المصطلحات الشائعة لدى كثير من البلاغين والمفسرين. استعملت مفردات مماثلة او قريبة لذلك المصطلح – أي (الاستدراج)، ومنها (التعريض والحِجاج، والمذهب الكلامي، والكناية، وحسن التقسيم والالتفات والكبد والمكر، والإمهال، والإملاء وغيرها).

وقد وصف بعض البلاغيين (الاستدراج) بانه منظومة متكاملة وتركيبة مكثفة من الاختيارات اللفظية والصيغ البنائية التي تتوافر في النص لتصل بالمعنى لادراك المتلقي ولتخاطب عواطفه، وتثير مشاعره، ولتكون حاضرة أمام هذا المشهد اللغوي العظيم، وبعبارة موجزة نقول:

اذا حولنا تتبع مسار خط تركيب (الاستدراج) رصدنا الاشارات الاتية:

١– تتصف (اشارته) بالخفية، وكذلك التحكم بالحركة قليلاً قليلاً، فلا يباغت ولا يجاهر.

٢– من منطلق انه عقاب لأهل الشرك والشر، تتجه تركيبة (الاستدراج) الى الشر وقيل: أي إنَّما (يستعمل الاستدراج في الشر)[١]. وقيل ايضا: (لكونه) فناً جدلياً فيما يبدو للناظر أول الأمر، فقد ظن انه مقصور[٢] على الشر، او قدْ كثر في الشر، فكأن بالشر الصق وأليق. وقيل يقع الاستدراج في (الشر) وفي (الخير).

٣– لا يعلم المتدرج من أية جهة ياتيه العقاب.

٤– يقع سياق الاستدراج محفوفاً بإشارات بيانيه وأخرى من البديع فيكتسب النص، لطف القول وحسن اللفظ، وطرافه المعنى وجمالية الاسلوب وقد يبالغ من يزعم أنَّ (الإستدراج هو الفن البلاغي الرئيس الذي تنتمي اليه فروع البلاغة الاخرى).

يقول القرطاجني في مؤلفه (منهاج البلغاء) أهلُ البديع يسمُّون ما كان الخروج فيه بـ (تدرج)[٣] تخلصا، وما لم يكن بـ (تدرج) ولا هجوم لكن بانعطاف طارئ على جهة (الالتفات) استطرادا وقد وصف (العلوي) هذا الفن – أي الاستدراج – بـ (لطف) القول وحسن اللفظ[٤] كذلك نبه (العلوي) في الطراز ايضا – على وفرة مواضع الاستدراج في السياق القرآني الكريم.

وان فيه سعة من هذا – أي من اسلوب الاستدراج، ومملوء من حسن الحجاج والملاطفة خاصة (منكري المعاد الاخروى، وعباد الأوثان والأصنام)، وهذا الفن يقع في الشعر كما يقع في

---

[١] ينظر/ تفسير البغوي ح٢/ ٢٥٥.

[٢] ينظر/ تفسير ابن عطية ح٢٢٣/١.

[٣] ينظر/ منهاج البلغاء – القرطاجني ح١٠٣/١.

[٤] ينظر/ الطراز – العلوي – ح٢ (١٤٨).

النثر وخلاصة القول في هذه المقام ان كثيرا من البلاغيين قد عدوا (الاستدراج) من ارقى اساليب البلاغة يقول (ابن الاثير) (في القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس، ولا سيما في مخاطبات الانبياء صلوات الله عليهم)[1].

[1] ينظر/ المثل السائر ح٦٦/٢.

التمهيد

ثانيا: التمهيد

يتضمن هذا التمهيد، تحديد مفردة (الاستدراج): لغةً/ واصطلاحاً.

المطلب الاول: (الاستدراج في اللغة): الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة.

وقيل: هو من الدرج والدرجُ: كف النسئ، يقال أدرجته ودَرَجتُه ومن معاني الدرج، والاستدراج ان يخطو درجة بعد درجة الى المقصود.

قيل: درج الصبي: اذا قارب بين خطاه، وادرج الكتاب، طواه شيئا بعد شئ.

وقد ذكر (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في معجمه العظيم: (ان الدرجة هي الرفعة والمنزلة).

و(درجات الجنان)، منازل ارفع من منازل، ودرج يدرج درجات والمدرجة، ممر الاشياء على مسلك الطريق ودخوله والدرجة، هي المنزلة المعينة التي تليها منزلة، وسمي مشي الطفل درجاً ودرجانا لأنه يمشي مرحلة بعد أخرى، أي منزلة يسيرة ثمَّ منزلة أعلى الى ان يستطيع السير بطلاقة شأنه شأن الكبير[١].

المطلب الثاني: واعلم أن **(الاستدراج في الاستعمال)** يتلخص في الانتقال من مرحلة الى أخرى.

وقيل: إنَّ الاستدراج من تدرج الى الشئ في خفية قليلا قليلا وأصله من الدرجة، ذلك أن (الرقي) (النازل) يرقى وينزل مرقاه مرقاة ومنه: درج الكتاب أي: طواه شيئا بعد شي. ومعنى ذلك أن من معاني (الدرج) عند اهل المعاجم، وفي مقدمتهم (الخليل بن احمد الفراهيدي) اذ أوجز المعنى في معجمه (العين) – فذكر ان الدرج (الانتقال من مرحلة الى اخرى) واشار صاحب (الصحاح)[٢] الى ان (الدرجة): تدل على استقطاب الاخر وتدنيه الى الشئ فكأنه يدنو بنفسه.

وتابع ابن منظور[٣] راي مَنْ سبقه مِنْ علماء اللغة واهل المعاجم اذ ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ الاعراف/١٨٢، انها بمعنى: سناخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم، وقيل: معناه سناخذهم من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله يفتح عليهم من النعمة ما يغتبطون به فيركنون اليه ويأنسون به فلا يذكرون الموت، فياخذهم على غرتهم[٤].

وقد ابدع (ابو حيان) في ايجاز موقف هؤلاء اللغويين بدءا من:

١– الخليل بن احمد الفراهيدي.

٢– ذكر ابو عبيدة: الاستدراج: ان تدرج الى الشئ في خفية قليلا قليلا من (الدرجة).

---

[١] ينظر/ الفراهيدي – العين: ح٦/٧٧– ٧٨ (درج).

[٢] الجوهري – الصحاح ح١/ذ٣ – ٣٩٤ مادة (درج).

[٣] ابن منظور – لسان العرب ح٢/٢٢٨ – ٢٨٩.

[٤] ينظر/ البحر المحيط ح٤/٤٢٨.

٣- وذهب ابن قتيبة: الى انه بمعنى هو ان نذيقهم من باسه قليلا قليلا من حيث لا يعلمون.

٤- قال الازهري: سناخذهم قليلا من حيث لا يختبون وذلك ان الله تعالى يفتح بابا من النعمة يغتبطون به ويركنون اليه، ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكنون من باب اغفل.

٥- معنى (سنستدرجهم) عند الزمخشري (سندنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم)[١].

٦- قال ابو حيان (المعنى: سنستمر شيئا بعد شئ ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والامال لهم حتى يغتروا ويظنوا انهم لا ينالهم عقاب)[٢].

ويبدو ان المعنى المعجمي قريب من الدلالة السياقية للاستدراج التي تعني: الانتقال من شئ الى اخر ومن منزلة الى اخرى من اجل اقناع المتلقي بامر ما.

المطلب الثالث: نرى من المفيد عرض الملاحظات الاتية:

الاولى: ان المعنى البلاغي للاستدراج له حضوره الاصيل في الادب العربي وفي السياق القراني الكريم بل، من المأثور من كلام العرب، يقول الاعشى (ليستدرجك القول حتى تهره).

أي: (تقوله) بمعنى: السر الذي كنت تخفيه وتمانع في اظهاره، يستدرجك قليلا قليلا حتى تبوح به.

وهو اسلوب فني بديع في الخطاب وهذا ما نحسه في قول حسان بن ثابت، (اتهجوه؟ فشركما لخيركما العداء).

وانما هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من استعمال الانصات في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير، ويسميه اهل البيان (الاستدراج) وهو ان يذكر لمخاطبه امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي ما يلقيه اليه اذا لو بداه بما يكره لم يصغ كقولهم (اخزى الله الكاذب مني ومنك)[٣].

وتستوقفنا هنا اشارة لغوية بلاغية وهي ان ظاهرة الاستدراج لا ترد في العبارة كمفردة لفصل القول او تزين المعني بل هي ظاهرة لغوية بلاغية يقتضيها (النظم) وهي نظام تحف به اشارات لغوية وبلاغية وقرائن بديعية لابد منها لتكمل الصورة البليغة المؤثرة.

وقد ذكر كثير من البلاغيين القدامى – المحدثين ان تلك الفنون بلاغية مستقلة بتركيبها وصفاتها ودلالة كل تركيب وفائدته اللغوية.

---

[١] الكشاف ح١٣٦/٢.

[٢] البحر المحيط ح٤٢٨/٤.

[٣] ينظر/ الكشاف – للزمخشري ح١/ ١٩١، الدر المصون للحلبي – ح١٨٣/٩.

الثانية: توسع الحديث في مفهوم (الاستدراج) عند كثير من اللغويين والبلاغيين وما يهمنا انها لم تتقاطع فيضيق فضاء هذا المصطلح وقد ذكرنا في صفحة سابقة ان بعض علمائنا العرب السابقين ومنهم ابو عبيدة واهل المعاني كما يقول صاحب البحر المحيط ان الاستدراج، من يدرج المتكلم الشي في خفية قليلا قليلا ولا يباغت ولا يجاهر[١].

أي ان (الاستدراج، ان ياتيه من حيث لا يعلم)[٢].

وقيل، ان الاستدراج: يستعمل في الصعود بالمخاطب الى الخبر كما استعمل في النزول به الى الشرِّ فكأن دلالة (الاستدراج) دلالة جدلية اذا جاز التعبير عن المدلول العميق للتدرج صعودا او نزولا.

الثالثة: هذه الملاحظة تقتضي الاشارة المقنعة الى ان المرسِل والمتلقي، يعلمان يقينا ان الاستدراج فن بلاغي دلالي شاع وقوعه في السياق القراني والادب العربي الاصيل. وما يهمنا هنا الاشارة الى قرينتين (الاولى: سياقية) و(الثانية: دلالية).

اما السياقية: فهي ان ظاهرة (الاستدراج) تقع في الغالب في اطار تركيب الحوار الذي يقترن بفعل القول (قال) بغير اداة العطف (الواو) لاستحضار مشهد الاستدراج وكانه واقع امام اعيننا.

اما الدلالية: فهي ان اسلوب (الاستدراج) يحقق في التركيب اللطف والملاينة والتدريج مع الخصم فلا يباغت ولا يجاهر[٣].

اما صفات قرائن اسلوب الاستدراج التي تلازمها فهي متعددة منها (حسن التعليل) عند اهل البلاغة كذلك التعريض والمحاججة والمقابلة وهذا الامر يدل على الشمولية، أي شمولية هذا الفن العريق وهذا ما يفهم من قول ابن الاثير في هذا السباق فاذا دقق النظر فيه وجد مدار البلاغة كلها حوله لأنَّه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة من غير ان تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها[٤] ويفهم من كلام "ابن الاثير" ان "الاستدراج" قريب من دلالة مصطلح (البلاغة) بما يدل عليه من فنون "البيان" والبديع وفنون المعاني وغيرها من اساليب بلاغية اخرى وقد أسماه ابن الاثير في كتابه (المثل السائر) "الخداع" لكن بعضهم رد هذا المصطلح – اعنى – (الخداع) بانه غير دقيق ولانه ليس كل استدراج خداع اذ قد فقد تتدرج احد لتحقيق المعنى والهدف لصالح تريده له من غير ان تخادعه في ذلك الاستدراج وهناك بون واسع بين الاستدراج والهدف والكيد والتمويه الذي يعني حجب الحقائق والمقدمات المنطقية، وان

---

[١] ابو حيان – البحر المحيط ح٥/٢٣٣.

[٢] تفسير الثعلبي "الكشف والبيان" ح٤/٣١٢.

[٣] ينظر/ الوسيط ح٧/٢٨٨.

[٤] ينظر/ المثل السائر ح٢/٦٤.

جازت المشاركة في التعليق بالقول لان سر الحماسة في رفض لفظة الخداع مرادفة للاستدراج هو القناعة في اختيار الدلالة الاجتماعية وليست اللغوية.

كذلك ما سمي بـ (المذهب الكلامي) و(تجاهل العارف) وحسن التقسيم والكناية وغيرها.

وهنا نعرض السؤال ثم محاولة الاجابة عنه؟ هل الاستدراج فن بلاغي متكامل؟

يقول القرطاجني في وصف هذه الظاهرة البلاغية العميقة المؤثرة.

(أهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه (**بتدرج**) تخلصا **ومالم يكن بتدرج ولا هجوم** ولكن بانعطاف على جهة من الالتفات (استطرادا) حتى التشبيه والاستعارة المكنية وامثالها وانما هي في بعض صورها استدراجات، لطيفة المقاصد والاهداف في تلك التشبيهات والاستعارات وغيرها فالشرطان هما: **شرط ادارة دفع التمتع** او المعارضة في جدل وشك وتردد كذلك **شرط اللطف في ذلك**)[١].

ومعنى ذلك انك ترى ان فضاء الاستدراج اوسع من دائرة البلاغة وهذه مسأله تستدعي[٢] مزيدا من التفسير والتحليل والتطبيق للشواهد القرانية حتى نصل الى قناعة يقينية فيما نميل اليه.

ونذكر في هذا التمهيد انا وجدنا ان اهل البلاغة رأوا الاستدراج اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية التي يجمعها لطف العبارة وانحيازها الى قلب السامع والى عقله، يقول الالوسي في كتابه "روح المعاني" باسلوبه الرائع البديع.

ان لمجرد الفرض والكلام من باب الاستدراج وارخاء العنان مع الخصم حيث يراد تبكيته وهو مما تتراكض فيه خيول المناظرين فلا باس بجعل كلام الله تعالى عليه[٣]، ولعل في الاشارة البلاغية البديعة في حديث الامام (علي بن ابي طالب) – كرم الله وجهه ورضي الله عنه – في هذا المقام اذا يقول لبعض من أشرك توصلنا الى الايجار في البعث والاخرة (ان كان الامر كما تقول من انه لاقيامه فقد تخلصنا جميعا وان لم يكن كما تقول فقد تخلصنا وهلكت).

وروى عنه (رضي الله عليه) ايضا مقولته (اذا رايت الله سبحانه يتابع عليك النعم مع المعاصي فهو استدراج لك)[٤].

الرابعة: تستوقفنا هنا مسألة دلالية في سياق جملة الاستدراج اذ تحصر دلالتها على "النثر" وهذا ما يفهم مثلا– من قول (ابن عطية) في تعريف "الاستدراج": هو الحمل من رتبة الى رتبة

---

[١] ينظر/ القرطاجني منهاج البلغاء ح١٠٣/١وما بعدها.

[٢] ينظر/ تفسير: فتح القدير ح٣٠٩/٢.

ينظر/ البحث المنشور في مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الزقازيق الاستاذ الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن الخراز ص١١.

[٣] ينظر/ روح المعاني – لابي الثناء الالوسي ح٣٩٤/١.

[٤] ينظر/ نهج البلاغة – للامام علي علبه السلام ح٢٧/٤–٢٨.

ينظر ايضا في (حاشية الشهاب الخفاجي) على تفسير (البيضاوي) (ح٤٦/٢).

حتى يصير المحمول الى النثر وانما يستعمل الاستدراج في النثر[١]. وحدد صاحب "الدر المصون" نقطة الانطلاق ثم بداية الحديث، وذلك ما يفهم من قوله (ان يذُكَر لمخاطبه امر يسلمه، وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بدا بما يكره لم يصغ اليه).

ونظيره قولهم: "اخزى الله الكاذب مني ومنك"[٢].

ولا يفوتنا ان نؤكد هنا ان اصل "الاستدراج"، الادناء من الشئ ولفظ الاستدراج على وزن (استفعال) من (درج) بمعنى (صعد) ثم اتسع فيه أي: كأن الزيادة في اللفظة افادت اتساع المعنى.

(فاتسع في كل نقل نرجاه سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى "مشي" مشيا ضعيفاً واما بمعنى (طوى) والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك)[٣].

وقد ذكر بعض المفسرين انه لما كان "الاستدراج" اسلوبا قرآنيا فان الحكمة منه امهال للتوبة وامهال في زيادة في الاثم.

وهنا يخطر في ذهن المتلقي السؤال الاخر: هل الاستدراج غير محكوم باتجاه ارادة الشر فقط وهل يمكن ان يقصد سياقه الخير ايضا مثلما هو في موقف الشر. ونستنير بقوله تعالى حتى يتجلى بالموقف الفصيح اذ يقول عز وجل[٤]: ﴿ **قال هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ النمل/٤٠.

وقال تعالى ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالينا تُرجَعون** ﴾ الانبياء/٣٥.

ومن صور استدراجه تعالى للمؤمنين لاختبار خوفهم وخشيتهم من امر الله في قوله تعالى:
﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ سورة المائدة/٩٤.

<u>الخامسة:</u> اذا تأملت اشارة " مفردة" "استدراج" بابعادها التركيبة والدلالية وجدتَ ان من المناسب بل من الضروري لكي تكتمل النظرة التحليلية، التنبيه بايجاز الى **<u>بعض الاشارات "البلاغية"</u>** لاننا نعتقد ان "البلاغة" هي روح اللغة وميدانها وقد اشتملت جملة الاستدراج على تشبيهات بلاغية وعلى الصور البيانية والبديعة اذ تضمن "الاستدراج" باقترانه ب "السين" و"التاء" في قوله تعالى ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾، صاعدا او نازلا، كذلك تضمن التعبير

---

[١] المحرر الوجيز ح٥/٤٢٠.

[٢] الدر المصون – السمين الحلبي ح٩/١٨٣.

[٣] ينظر/ تفسير ابي السعود العمادي ح٢/٢٩٧.

[٤] ينظر/ الكافي ح٢/٤٥٢.

هنا معنى الاتصال المقصود وقد علق بفعله وهو بمن الابتدائية، أي مبتدئا استدراجهم من مكان لا يعلمون انه مفض بهم الى موضع يضاف به لان (حيث) هنا للمكان على اصلها أي: من مكان لا يعلمون مالا يفضى، اما الفعل "يعلمون" فقد حذف مفعوله وهو من سمات الجملة القرانية لدلالة "الاستدراج" عليه والتقدير" لا يعلمون قدره، وهذا مؤذن بانه استدراج عظيم واللام في قوله تعالى "لهم" للتبين تعلق الفعل بمفعوله واحتمل ان يكون من باب "الالتفات" كذلك احتمل ان يكون "الفاعل" ضمير التكذيب المفهوم من ﴿ **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾ أي خروجهم من الضمير المشارك في (سنستدرجهم) (وتثبيت بان استمرار الكافرين في نعمة انما هو، استدراج واملاء وضرب يشبه الكيد وان الله بالغ امره فيهم)[1].

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ح١٠٢/٢٩.

الفصل الاول

الفصل الاول:

المبحث الاول: بلاغة الإعجاز في ظاهرة الاستدراج

ويتضمن هذا الفصل عدة مباحث:

نستهل الحديث في هذا المبحث فنضع موازنة افتراضية من دلالات تلك المصطلحات التي نزعم انها تنتمي الى ما تشرق به تلك الفوائد الدلالية واللغوية والبلاغية. ومنها عدة مطالب:

اولاً: قال بعض اهل البلاغة: كل (استدراج) (بلاغة) ولكن ليس كل (بلاغة) (استدراج).

قلنا فيما سبق، الاستدراج – في اللغة: الاخذ بالتدريس منزلة بعد منزلة.

وقيل هو "من" الدرج: كف الشئ، يقال: ادرجته ودرجته ومنه ادراج الميت في اكفانه.

وقيل: هو من "الدرجة"، فالاستدراج، ان يخطو درجة بعد درجة الى المقصود ومنه: درج الصبي: اذا قارنت بين خطاه.

وادرج الكتاب: طواه شيئا بعد شئ، ودرج القوم: مات بعضهم في اخر بعض[١].

(الاستدراج): الادناء من الشئ: درجة[٢].

قال ابو السعود" سنستدرجهم" أي: نستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا (الاستدراج): استفعال من، درج، اما بمعنى "صعد" ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة، واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى.

ورجح (ابو السعود) المعنى الاول: وهو الصعود والنقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ... على سبيل الاستعارة فيكون (الاستدراج) مستعار لكل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه. بحيث يزعم ان ذلك ترق في مرافي منافعه مع انه في الحقيقة ترد في مهاري مصارعه[٣].

قال اهل المعاني: الاستدراج: ان يندرج الى الشئ في خفية قليلا قليلا فلا يباغت ولا يجاهر ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه: درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شئ.

قال الزمخشري (ليستدرجنك القول حتى تهره) أي: تقوله:

يعني السر الذي كنت تخفيه وتمانع في اظهاره، يستدرجنك قليلا قليلا حتى تبوح به[٤].

قال ابن عطيه (الاستدراج هو الحمل من رتبة الى رتبة حتى يصير المحمول الى شر وانما يستعمل الاستدراج في الشر)[٥].

---

[١] ينظر/ تفسير البغوي ح٢/٢٥٥.

[٢] ينظر/ المصدر السابق.

[٣] ينظر/ تفسير ابي السعود ح٣/٢٩٧.

[٤] ينظر/ الكشاف ح٤/٤٥٠.

[٥] ينظر/ الوجيز ح٦/٤٢٠.

تعليق: هل الاستدراج في الموضوعيين يتجه نحو دلال الشر (سنستدرجهم ....)

كما في قوله عز وجل: ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ القلم/٤٤ ومثله في سورة الاعراف/١٨٢.

ويسميه اهل البيان الاستدراج، وهو ان يذكر لمخاطبه امر يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه، اذ لو بدأ بما يكره لم يصغِ، ونظيره قولهم: اخزى الله الكاذب مني ومنك[١].

وعرفه ابن الاثير بقوله:

الذي ادعى انه اول من استخرجه من القرآن الكريم ولم يسبقه احد الى استخراجه وهو ادعاء لم يعترض عليه احد ممن جاء بعده.

وخرجه بقوله: وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال[٢].

تعليق ابن الاثير: جعل (الاستدراج) البلاغي (مخادعة) هي الاقوال تقوم مخادعة الافعال:

ولعل الوصف بالمخادعة يليق بمقام دون آخر.

وذلك حينما يقع (الاستدراج) على سبيل المجازاة بـ (المثل) أي: (مشاكلة) الخداع بالخداع فيكون على نحو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ النساء/١٤٢.

الا ان الاثير قد اطلق عليه لفظ (المخادعة) ابتداء من غير سياق مجازاة على اية من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ غافر/٢٨.

حيث قال ابن الاثير: الا ترى لطف احتجاجه على طريقة (التقسيم) بقوله: ان يك كاذبا فكذبه، عائد عليه وان يصدق يصبكم بعض ما وعدكم به ففيه من الانصاف والادب ما لا يخفى.

وفيه من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به[٣].

ويبدو ان تسميته خداعا، كما اختاره ابن الاثير غير مناسب ولا دقيق لانه ليس كل استدراج خداعا فقد نستدرج احدا لمعنى او هدف صالح تريد له من غير ان تخادعه في ذلك الاستدراج، لكنك تأتي له من احسن ابواب التلطف الكلامي البلاغي[٤].

---

[١] الدر المصون – السمين الحلبي ١٨٣/٩.

[٢] المثل السائر ح٢٠٥/٢.

[٣] المصدر السابق.

[٤] من وجهة نظر – د.محمد بن عبد الرحمن الخراز ص٨٤١ الاستاذ المشارك في جامعة القصيم ص٨٤١-٨٤٢، مجلة كلية اللغة العربية الزقازيق ٢٠١٥.

وكما في قول النبي صالح – عليه السلام – لقومه

﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتاني مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ** ﴾ هود/٦٣.

قال الرازي: في بيان الاستدراج بهذا الاسلوب وبلاغته ورد بحرف الشك (ان) وكان على يقين تام في امره.

الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول فكأنه قال: فذروا اني على بينة من ربي وانى نبي على الحقيقة.

وانظروا اني ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله؟ فما تزيدوني على هذا التقدير غير تخسير[١].

ثانياً: ولعل من الضروري التذكير بمعاني (درج) في المعاجم

فان مادة (درج) في معجم "العين" الخليل بن احمد الفراهيدي[٢].

الدرجة في الرقعة والمنزلة. وتجمع الدرج الجنان: منازل ارفع من منازل والصبي: درج يدرج درجأ درجات. والمدرجة: ممر الاشياء على مسلك الطريق ونحوه.

والدرجة: هي المنزلة المعينة التي تليها منزلة.

والظاهر: ان هذا المعنى المعجمي قريب جدا من المفهوم الاصطلاحي.

وسار " ابن منظور" في (لسان العرب) على منهج السابقين (الخليل والجوهري)

﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ الاعراف/١٨٢، القلم/٤٤.

قال بعضهم معناه سناخذ قليلا قليلا ولا تباغتهم وقيل: معناه ستاخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك ان الله يفتح عليهم من النعمة ما يغتبطون به فيركنون اليها ويأنسون فلا يذكرون الموت فيأخذهم على غرتهم اغفل ما كانوا[٣].

المحصلة النهائية لمعنى الاستدراج: هي الانتقال من شئ الى آخر من نزلة الى اخرى من اجل اقناع المتلقي بامر ما او تجعله يفعل شيئا ما يريده المتدرج منه ولكن لا يتحقق ذلك الشئ دفعة واحدة لهذا يقسمه الشئ تلو الاخر حتى يبلغه المتلقي ويؤديه على وفق ما يبتغيه المستدرج.

ويبدو ان اهل المعاجم جميعا متفقون في مستويات دلالة على مفهوم " الاستدراج" يقول: الشوكاني (١٢٥٠هـ) – معنى "الاستدراج" في الاية الكريمة.

---

[١] التفسير الكبير للرازي ح٣٨٦/١٨.

[٢] العين ح٧٧/٦-٧٨ "درج".

[٣] لسان العرب ح٣٢٨/٢-٢٨٩.

سنستدرجهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم وذلك بادرار النعم عليهم وانسائهم شكرها فيتفمكون في الغواية ويتنبكون طرق الهداية لاغرارهم بذلك، وانه لم يحصل لهم الا بما لهم عند الله من المنزلة والزلقة[1].

وبهذا ياخذ الله من حيث لا يشعرون.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ المائدة/١١٦.

فان المجني عليه اذا سئل بمحضر الجاني، ونسبت الجناية اليه دون الجاني، بعث ذلك الجاني على التفكر في حاله وحال المجني عليه. فيرى براءة سامعه، وانه هو المستحق للعقاب وهذا (استدراج) على طريق التعريف.

وهو ابلغ من التصريح، والمراد بـ(الاستدراج): سلوك طريق توصل الى المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له، حتى يبين من صدر عنه ذلك.

كما سئل "عيسى" عليه الصلاة والسلام – دون الكفره (وهو فن من البديع بديع) حكاه الشهاب[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾ هود/٢٨.

---

[1] الشوكاني/ فتح القدير ح٢/٣٩٥.

[2] ينظر/ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ح٨/٣٢٦.

المبحث الثاني: من اساليب الاستدراج في الحوار القرآني

ويتضمن المطلب الاول:

قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ هود/٣٣.

﴿ **وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَان اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ هود/٣٤.

﴿ **إِنْ كَان اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ هود/٣٤.

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ** ﴾ هود/٣٥.

فكأنها: نقلة اخرى بالحوار – تتضمن الايجاز بالحذف في الحوار واختصار احداث، في مقام الاستدراج والتطمين بما سيحمل؛ اذ اوحى صوت "الحق" الى نوح أن لا يبتئس.

﴿ **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ هود/٣٦.

وجاءت الخطوة الثالثة، بالقول الفصل.

﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ** ﴾ هود/٣٧.

(ويصنع الغائب كلما مر عليه ملآ من قومه سخروا منه).

﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ هود/٣٨.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ الاعراف/٥٩.

﴿ **قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ الاعراف/٦٠.

﴿ **قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الاعراف/٦١.

﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ الاعراف/٦٢.

فكأن اسلوب (الاستدراج) قد آثر سبيل الارتقاء او الصعود في الاستدراج، فرد عليهم اذ فهموا ان (نوحا) يخاف على "قومه" ان لم يعبدوا الله في ضلالة و(ليس بي ضلاله) وهذا اول الرد، فهم ضلالهم لا حدود له اما (نوح) عليه السلام فلا (ضلال) به والرد بالافراد تنزه وتكرم موقعه، تم تتوالى تلك الفضائل التي وجهها الله لنوح، في الارتقاء ﴿ **قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الاعراف/٦١، ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ الاعراف/٦٢.

ويبدو ان اهل البلاغة "رأوا" الاستدراج، اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية التي يجمعها، لطف العبارة ودقة المسلك الى قلب السامع وعقله.

ونبه (العلوي) في (الطراز) على كثرة الاستدراج في القرآن الكريم وان فيه سعة من هذا – أي الاسلوب البلاغي – ومملوء من حسن الحجاج والملاطفة، خاصة لمنكري المعاد الاخروي وعباد الاوثان والاصنام.

وهذا الفن يقع في (الشعر) كما يقع في النثر وغيره.

لعل المقصود هو (الكثرة) فيما تضمنته سياقات قرآنية كريمة من اسلوب "الاستدراج".

﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ** ﴾ يس/١٣.

﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ** ﴾ يس/١٤.

﴿ **قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ** ﴾ يس/١٥.

﴿ **قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ** ﴾ يس/١٦.

فان الجملة القرآنية هنا فيها معنى القسم التوكيد – بان مؤكدة – تقدم الجار والمجرور (اليكم) للاهتمام :

﴿ **ومَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ يس/١٧.

﴿ **قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ يس/١٨.

﴿ **قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ يس/١٩.

وتدبر قوله في سورة (آل عمران) ﴿ **وَاللَّـهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ آل عمران/١٥٦.

﴿**وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ آل عمران/١٥٧.

﴿ **وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ آل عمران/ ١٥٨.

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ آل عمران/١٥٩.

﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ آل عمران/١٦٠.

﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ النساء/٨٢.

﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ النساء/٨٣.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ يونس/٧.

﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ يونس/٨.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس/٩-١٠.

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس/١٥.

﴿ قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ يونس/١٦.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس/١٧.

اذ هنا يقع **الاستدراج** بعد عرض الحالين وتفضيل الموفقية فصدر الحكم على الفئتين بدليل ان السياق الكريم يؤثر لفظ "المجرمين" الدال على ثبوت الادانة والاجرام.

ومن توضح حيثيات (القرار) اذا جاء التعبير – ومسبباته:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس/١٨.

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس/١٩.

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ يونس/٢٠.

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ يونس/٢١.

المطلب الثاني: انموذج آخر لاساليب الاستدراج للمحاورة المتقابلة بين طرفين

قال الله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الكهف/٣٢-٣٤.

بعد ان بين لهم ما اعد لاهل الشرك وذكر ما يقابله مما اعده للذين امنوا أي: نضرب للفريقين: المشركين والمؤمنين بمثل: رجلين كان حال احدهما معجبا مؤنقا مثلا لحال الاخر.

فكانت عاقبة صاحب الحال المؤنفة تباتا وخسارة، وكانت حال الاخر ثجاجا ليظهر للفريقين ما يجهر الغرور والاعجاب والجبروت الى صاحبه من الازراء وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح[1].

علما ان نظم السياق قد تضمن مشهد المحاورة واقتضى ذلك استحضار مكان المحاورة، واستحضار زمن المحاورة، وبيان حال نفسيه المتحاورين قال تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين وكان له ثمر).

وقد كشف السياق تعصب (الانا)، عند احدهما، "وهو ظالم لنفسه"، "وكان لاحدهما ثمر".

ثم تنطلق المحاورة بينهما، وقد ناسب تصدر الجملة بالفعل "قال" غير مقترن – بالفاء وذلك من شأن حكاية المحاورات وذلك ما يقتضي بناء حكاية المحاورة الواقعة، لان ذلك اوقع في العبرة والموعظة.

فقال احدهما لصاحبه، وهو يحاوره (انا اكثر منك مالا واعز لنفسه).

وهنا تكشف صيغة التفصيل، قمة الغرور والاستعارة والاستكبار، اذ عدوا ان الافضل عند الناس، كثرة المال، ولان الانانية والغرور قد اعميا، بصيرته " وهو ظالم لنفسه فـ "ظن ان لن تبيد هذه الارض ابدا".

أي: انكر وقوع "الساعة" وأن تبيد الارض.

وفي تصاعد درجة هذا الغلو، وتلك الغطرسة ومنطلقهما من الجهل والسفه فقال (ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا).

واعقبه الرد ببيان واضح، مركب من اسلوب الاستفهام المجازي، اذ تتصدر معه همزة الاستفهام المقترن بالجملة الفعلية، ليؤدي السياق معنى الاستغراب والتضيق وللانكار فضلا عما حققه (التنكير) الذي يكف جهل المخاطب وكفره، فرد عليه: صاحبه وهو يحاوره ﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا** ﴾ ثم انعم النظر في موقع "ثم" الدالة على المهلة، وبه تم الانتقال من حال الى الحال وقد اجتمعت دلالة اللفظة على "قبح المنظر" سوء الموصوف بنكرة لفظ "نطفه"، لتدل على المهلة، وبه تم الانتقال من حال الى حال وقد اجتمعت دلالة اللفظة على "قبح المنظر" وسوء الموصوف بنكرة لفظ نطفه، لتدل على التصغير والتحقير، وقد جمعت لفظة "ثم، المكررة "نطفة ليتجمع "المتقابلين" بقدرة الله تعالى – وما اعظم قدرته، اذ خلقك من نطفة، ﴿ **ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا** ﴾ الكهف/٣٧.

---

[1] التحرير والتنوير ح١٥/٣١٥.

فتأمل تقابل الصورتين (ولولا اذ دخلت جنتك قلت: ما شاء الله لا قوة الا بالله) تجد معنى التحليل لكون تلك الجنة من مشيئة الله بعد، اذ يخاطب الرجل المؤمن صاحبه" ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا، فقد تضمن القول الكريم معنى التحليل، لكون الجنة من مشيئة الله، فلا قوة الا بالله.

ثم تعقب هذا المشهد الذي يعزز تمسك الصاحب المؤمن بقدرة الله ويقين موعد الله "فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك.

ويختصر الحوار تلك الاحداث "ويرسل عليها" أي الله تعالى حسبانا من السماء الى الارض أي: يقع هلاكا مقدرا من الله الى الارض التي زلزلت ولم تستقر، فقد اصبحت ذات منزلقة و(الصعيد)؛ وجه الارض.

ونوجز عرض تلك الاحداث التي تضمنها السياق الكريم.

لنقترب من "الحدث الاخير"، او الحلقة الاخيرة من الحوار، اذ ينكشف النظم عن اسلوب الاستدراج، فتأمل قول الصاحب المشرك في مقام التحسر والندم بهذا النداء و"ليت" اداة التمني، المراد به الندم ولوم النفس المشركة، او كما يقال الان عند اهل علم النفس، (جلد الذات) وهذا ندم على الاشراك فيما مضى وهو مؤذن بانه آمن بالله وحده حينئذ[1] وقوله فلا معين ينصره "ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا".

وتتجه الصورة نحو قمتها في وصف الحالة النفسية التي يترجمها الاسلوب البليغ في قوله تعالى ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ** ﴾ كناية عن الندم والتحسر" على ما انفق" في عمارتها وهي خاوية على عروشها" أي: كرومها سقطت عروشها على الارض.

وهنالك تجد أن اسلوب الاستدراج يرتقي الالفاظ في دلالتها على العفو، والمغفرة أي في ذلك المقام وتلك الحالة النصرة لله وحده لا يملكها غيره[2].

ويتصاعد بناء الاستدراج في الخير، حسب ما يقتضيه المقام فلا يقتصر على الشر.

"وهو خير ثوابا واجرا" فتأمل دلالة التفصيل في "خير" لا يصل الى درجتها الا المؤمن فكأن اسلوب الاستدراج بنفسه نحو ثمة الخير، حاضرا ومستقبلا هو (وخير ثوابا) يقول الزمخشري يعني ان قوله تعالى ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾ الكهف/٤٢.

كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها.

ويجوز ان يكون المعنى بـ (هنالك الولاية لله) ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدروهم من اعدائهم.

---

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ح١٥/٣٢٧.

[2] ينظر/ الكشاف ح٢/٥٣٢.

وصدق قوله ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْباناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ الكهف/٤٠.

ويعضده قوله تعالى "خير ثوابا وخير عقبا"، أي: لاوليائه.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ الكهف/٤٣.

أي: لما رأى الكافر، ما دهاه من جزاء كفره التجأ الى ان يقول: يالتني لم اشرك بربي احدا.

اذ علم ان الالهة الاخرى لم تغن ولا ينهم عنه شيئا.

﴿ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ الكهف/٤٤، اسم اشارة للمكان البعيد مستعار للاشارة الى الحال العجيبه بتشبيه الحال بالمكان لاحاطتها بصاحبها وتشبيه غرابتها بالبعد لقدرة حصولها، والمعنى: أن في مثل ذلك الحالة نقتصر الولاية على الله.

" الحق": وصف لله – انه موجود حقا/ "خير"، بمعنى: اخير/ او: اسم ضد الشر: أي هو الذي ثوابه وعقبه خير، وما سواه فهو شر[1].

المطلب الثالث: تطبيقات بليغة بديعة لفنون الاستدراج باسلوب الحوار في اهم اركان القصة القرآنية في مثل سورة يوسف

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ* قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ يوسف/٣١-٣٢

لقد اثر يوسف عليه السلام، ان يكون جواب المحاورة المشروطة: الى الله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ يوسف/٣٣-٣٥

وقد يكون في مشهد الحوار اكثر من شخصين بل هي شواهد اخرى متداخلة مع بعضها.

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ يوسف/٢١

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ يوسف/٢١-٢٣

وهنا اشاره تضمها السياق (راودته هو في بيتها).

---

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ٣٢٩/١٥.

وغلقت الابواب، فهناك سبق الاصرار على العقد والترابط.

فهنا ايجاز في ذكر الاحداث ولكن المتلقي يدرك ترابطها وقد أختير حذف احداث متواليه حتى قوله ....

﴿ **وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ يوسف/٢٣

وقال تعالى: ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ يوسف/٢٥

التي تصدرت المحاورة، لتبدو انها مستنجدة بزوجها، لما حل وتقلب الموقف امام (الملك العزيز)، وبعد ان احكم الى ادوات الحدث ﴿ **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾، فجاء الرد على محاورة (الزوجة) متضمنا حكما عادلا متضمنا لسيدنا (يوسف) عليه السلام.

لعله يحقق امرين:

الاول – لـ (يوسف) عليه السلام– (اعرض عن هذا) أي: استر الحال ولا تظهره للاخرين.

الثاني – لـ (امرأة العزيز) (واستغفري لذنبك) واعترفي بفعلك، واطلبي المغفرة من الله لما اقترفت من ذنب.

وامتدت شعاب المحاورة في شعاب المدينة:

﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ يوسف/٣١.

المبحث الثالث: من فنون الاستدراج:

الاستدراج الضمني، (الخفي):

أ- تامل قوله تعالى في سورة الزمر: ٧

﴿ إن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ الزمر/٨- ٩.

تأمل القول الكريم تجد ان السياق قد رسم للمتأمل هيكل الاستدراج فلنتابع خطواته، وهي:

الاولى: أن "الله غني عنكم – ايها المشركون".

الثانية: انه تعالى " لا يرضى ان يترك عباده كافرين".

الثالثة: "كل نفس بما كسبت رهين" فلا تحمل نفس الا بما جنى صاحبها.

الرابعة: "مرجعكم الى ربكم الواحد الاحد عليم بما تخفون وما تسرون".

الخامسة: من طبيعة الانسان: ضعفه، فلا يلجأ الى الله الا حين يمسه ضر فيستجير بالله، لكنه حين يغدق عليه نعمه، نسي للشكر نعمته والاقرار بوحدانيته، ويشرك بما كان يدعو اليه، فيمد الله بنعم اخرى، لعلها تذكره بنعم الله فيشكره، ويتقرب اليه ويبدو ان هذا هو جوهر الاستدراج.

ومثله في قوله تعالى: **﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾** النمل/٤٠.

ت- يبدو ان اسلوب الاستدراج " هنا" قد اثر المعنى الضمني لو نعود الى آيات سورة الجن.

فقد انطلق تخصيص المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونوا عليه لبدا).

اعلن مباءه: ادعو الله ربي ولا اشرك به احدا.

ولعل خصوصية الجملة القرآنية وهي مصدره بالفعل، لتكشف للطرف الاخر بعض خصوصيات "قل اني لا املك ضرا ولا رشدا".

وفي الوقت نفسه (قل اني لا يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته):

وبعد ان قدم الله تلك الاشارات المطمئنة للمؤمن بوحدانية الله نبه الى خطورة من لا يتعض ولا يكتب الموقف بالايمان بالله (ومن يعص ... خالدين فيها ابدا)، ومن ذلك يحقق الله وعدهم به من ثواب لمن امن ما ومن يعص الله ورسوله، وبعد خصوصية الاستدراج لا يفوتنا تحليل اشارة الفاصله، واعلم ان الفاصلة هنا احتفظت بايقاعها وهو من شواهد الاستدراج في سورة الجن قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ الجن/١٨.

فالاية الكريمة تخاطب الجميع بخصوص مواضع العبادة، وهي المساجد، فهي لعبادة الله وحده لا شريك له.

ويبدو ان اسلوب الاستدراج قد اثر المسلك الضمني او يمكن ان نسميه (الخفي).

﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ الجن/١٩.

وعرف "عبدالله" بذاته النبوية الكريمة، فتصدرت الايات الكريمة بفعل القول (الامري).

ثم التمسك بالله وحده لا شريك له:

﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** ﴾ الجن/٢٠.

وتوجه الخطاب المرسل من "الله" تعالى الى من ضل عن الهدى.

﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** ﴾ الجن/٢١.

﴿ **قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾ الجن/٢٢.

وكأن اسلوب الاستدراج يتجه في البدء الى تطمين من سبق بايمانه.

ثم يتجه السياق الى الطرف المقابل وهو:

﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ الجن/٢٣، فتأمل قوة توكيد الانذار في مثل هذا الموقف فقد قدم الجار والمجرور فكأنها نار تخصهم، (خالدين فيها ابدا) الجن/٢٣.

فتأمل قوة توكيد الانذار في مثل هذا الموقف فقد تقدم الجار والمجرور فكأنها نار تخصهم، خالدين ابدا ﴿ **حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا** ﴾ الجن/٢٤.

ويبدو – والله اعلم – انها الفرصة الاخيرة لمن اشرك، فيقول تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا** ﴾ الجن/٢٥، فهو ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴾ الجن/٢٦.

ث– ومثله من اساليب الاستدراج الخفي:

﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾ يونس/٣١.

فمن اغراض هذه الافادتين، ابطال الشرك واثبات توحد الله تعالى بالالهية فلقد سلك (الاستدراج)، مسلك "الخطوات" المتتابعة والمتوالية، لبيان استحقاق البرهان على انه هو الله – المستحق للولاية، وقد ناسب الغرض الاستفهام التقريري على طريقة السؤال والجواب لان ذلك في صورة (الحوار) فيكون الدليل الحاصل به اوقع في نفوس السامعين اذ اقتضي الاحتجاج بمواهب الرزق، (الاستدراج)، كذلك موهبة الحواس ونظام التناسل والتوالد للبقاء على الانواع. فهذه وغيرها مواهب من الله، وهم كانوا يعلمون ان جميع ما ذكر لا يفعله الا الله – اذ لم يكونوا ينسبوا الى اصنامهم هذه الامور[1].

فتامل بلاغة كل لفظة ومناسبتها في النظم القرآن، قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض) تذكير بتنوع اموال الرزق، وليكون اقوى حضورا و"ام" في قوله تعالى: (ام من يملك السمع) للاضراب الانتقالي من استفهام الى اخر وقد افرد السمع لانه مصدر دال على الجنس في جميع احوال الناس.

وجاء (الابصار) جمعا لانه اسم فيه الدلالة على قصد العموم.

وابعد في الدلالة (ومن يخرج الحي من الميت)، وما يقابله (ويخرج الميت من الحي)، وقوله تعالى: "ومن يدبر الامر" تعميم بعد تخصص.

(فسيقولون الله) : (الفاء) سببيه والفعل "قل": نزل منزلة الشرط فكأنه قيل: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ** ﴾ يونس/٣١.

وتقدير التركيب هنا ان تقل لهم اقيموا الصلاة يقيموا.

وان تقل لهم قولوا التي هي احسن يقولوا.

وهو كثير في القرآن على رأي المحققين من النحاة، وعادة غيرهم على حذف الشرط المقدر "فذلكم" اشارة الى من هذه قدرته وافعاله.

"ربكم الحق" الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر: (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني ان "الحق" و"الضلال" لا واسطة بينهما، فمن تخطى الحق وقع في الضلال[2].

دل عليه الكلام. واختتم التركيب بقوله تعالى: ﴿ **فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾ جاء بالعمق بعد الخصوص.

ف (الفاء): فاء النصيحة، أي: "ان قالوا ذلك فقل افلا تتقون".

و(الفاء) في قوله تعالى " افلا"، (فاء) التفريغ: أي: يتفرع على اعترافكم بانه، (الفاعل الواحد) انكار عدم التقوى عليكم.

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ح١١/١٥٥ وما بعدها.

[2] ينظر/ الكشاف ح٢/٢٥٧، التحرير والتنوير ح١١/٢٧-٢٨.

والمفعول " تتقون"، محذوف تقديره: تتقونه، أي بتنزيهه عن الشرك[1] أي: (افلا تتقون) انفسكم ولا تعذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال (فذلكم الله ربكم الحق) ثم يصل اسلوب "الاستدراج" الى قيمته:

ان اهل التفسير: انما اخبر الله عنهم انهم سيعترفون بان الرازق والخالق والمدبر هو (الله) لانهم لم يكونوا يعتقدون غير ذلك.

كما تكرر الاخبار بتلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن وفيه تحد لهم فانهم لو استطاعوا لا نكروا ان يكون ما نسب اليهم صحيحا، ولكن خوفهم الحذف صرفهم عن ذلك، فلذلك قامت عليهم الحجة بقوله تعالى (افلا تتقون).

تدبر قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة/ ٣٠.

فإن قوله تعالى هنا احد مواضع الاستدراج في سياق المحاورة بين " الله" تعالى و" ملائكته"، (واذ قال ربك للملائكة)، فعرض عليهم امرا عظيما، وهو ان يجعل " الله" تعالى من يخلفه في الارض – وفي تكريم "الملائكة" بسؤالهم، وبيان لعلو مقام عند ربهم اذ تكشف موقف استشارتهم في ذلك.

ثم لا يتمهل جواب "الملائكة" بل ياتي مباشرة (واذ قال ربك للملائكة)، اذ ترد فيها جملة السؤال: (المصدرة بفعل القول قالوا....) المسند الى جماعة كانهم ردوا الحوار بمخاطبة الملائكة بحجة، فأثروا اسلوب الاستفهام المجازي الدال على " الانكار" كما وصفه اهل البلاغة – او هو الاستغراب والرفض، القائم على المحاججة، " اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء".

فالافعال (المضارعة) دالة على دوام جرمهم، وتواصله في "الفساد على الارض وفي سفك دماء الآخرين".

ويسلك الحوار مسلك اسلوب "المقابلة"، امام الموقف السابق فتعرض الملائكة موقفهم.

المصدر بضمير المتعلمين (نحن)، الواقع مبتدأ، خيره جملة فعلية، وفي ذلك توكيد يصل حد التوكيد بالقصر.

ولو سألتني ما الهدف من هذا الاستدراج؟، قلت: الوصول الى القول اليقين الذي لا شك فيه فلا يأتيه الباطل ولا سوء الظن.

اذ قال – تعالى "اني اعلم ما لا تعلمون".

---

[1] المصدر السابق.

والجملة مؤكدة بـ" ان" (أولياء) المتكلم العائدة عن الفاعل الله تعالى "وخير" ان جملة فعليه دلت على شمول علمه وقدرته.

ثم تأمل بلاغة "الاستدراج"، حين اظهر "الحوار" بين موسى عليه السلام وقومه فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ** ﴾ البقرة/٥٤.

نستنتج "اذ" بالتذكير باسلوب المحاورة، فيكون المعنى: أي اذكر، محاورة "موسى" لقومه: مخاطبا اياهم: يا قوم " ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة"

فاستغرب قوم " موسى"، وحسبوه سخرية، فردوا على القول، باستخفاف وانكار ثوب الاستفهام في ردهم على حوار "موسى عليه السلام".

وكأنهم ظنوا ان المبادرة بـ " الاستدراج" تكسبهم الموقف الذي يتجه اليه الحوار.

فلم يتأخر الرد اذ قال مبرئا ذاته، ﴿ **قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ البقرة/٦٧.

فآثره السياق ان تقع المحاورة متوجهة الى نبينا (موسى) عليه السلام، "يا موسى ادع لنا ربك".

فما زالت صفة "الاستعلاء والاستكبار"، تلازمهم مرة اخرى، وهذا ما تجسده القرائن التي تضمها السياق – بدءا من صفة "الامر" ثم لفظ "كاف" الخطاب المتصلة بلفظة "رب"، التي تفهم منها معنى، بك انت يا موسى، والمقصود بهذا الخطاب الذي بدأته المحاورة اذ ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ** ﴾ البقرة/٦٨.

فياتي الطلب الاول وهو الركن الرئيس الذي نقوم عليه المحاورة، في بيان "ماهية الشئ" ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُون** ﴾ البقرة/٦٨، أي: لا كبيرة هرمة، ولا فارض: صغيره لم يلحقها الدواب.

وهنا نتوقف لنتأمل عتبة الاستدراج في قوله تعالى (فافعلوا ما تؤمرون).

ونتائج خيوط المحاورة – اذ ياتي القول الثاني متصلا – غير مقترن بـ " واو" بالعطف لكي يتجسد للقارئ (الحوار) متصلا.

﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا** ﴾ البقرة/٦٩

ثم نتأمل خيوط (الاستدراج) تلف هذا التركيب بقصد (الاحراج) او بقصد الشك/ او الريب في قدرة الله تعالى وتلمح هنا – تجسيدا لغويا " المناسبة" والتكامل بين "هيأة" المناسبة و"لونها" اذ ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ** ﴾ البقرة/٧٠.

ثم قال تعالى ﴿ **يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا** ﴾ البقرة/٦٩

وتكررت (الدعوة)، بالاسلوب نفسه، وبالصفة عينها: ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ** ﴾ البقرة/٦٩

وتأتي جملة القول – بلا عطف بالواو – (قال انه يقول انها).

﴿ **بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ** ﴾ البقرة/٦٩

فتأمل ميزات الوصف ودقته، فهي صفراء (فاقع لونها).

والصفرة ليس لونا يدل على مرض، كما هو شائع عند الناس.

بل ان معنى (فاقع لونها)، شديدة الصفرة، جميل رائق رائع، فالوصف انها (تسر الناظرين...) صفة جمالية مؤثرة، ويعود السياق الى الحوار بلازمته، "اذ قالوا ادع لنا ربك" اذ يقتضي تكرار الطلب "ان البقر تشابه علينا" ثم يقررون بانهم بمشيئة الله (لمهتدون).

أي: كأن اسلوب الاستدراج قصد امرين: الاول: بيان سر تكرار الدعوة كاملة.

﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ** ﴾ البقرة/٦٨

مع الاشارة الى سبب تكرار هذه الدعوى"ان البقر تشابه علينا"، وهذا القول يمكن ان يعد لونا من الاستدراج.

اما الامر الثاني: ففي قمته: الاقرار بان هدايتهم واقعة – ان شاء الله وهذا ما يفسره تصدر القول المبين بـ "ان" المؤكدة، المقترنة بالضمير "نا" الدال على عظمة صاحب القرار وحده ثم وقع تركيب الشرط بـ " ان شاء الله" – جملة اعتراضية ليؤدي التركيب توكيدا، فلا هداية الا بمشيئة الله.

المبحث الرابع:

المطلب الاول: فن الاستدراج في اسلوب الرؤيا:

ثم تأمل قوله تعالى:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ يوسف/٤١

وتتجسد اركان الاستدراج في سياق الاية (٣٩-٤١) من سورة يوسف

ثم اراد بالكلام الذي كلمهما به تقريرهما بابطال دينهما.

فقد سلك (الاستفهام التقريري) (ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) وقد رتب لهما الاستدلال بوجه خطابي.

اذ فرض لهما الها واحدا منفردا بالإلهية، كما هو حال ملته التي اجبر بها وفرض لهما الهة متفرقين، كل انه منهم انما يتصرف في اشياء معينة تحت سلطانه.

ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحالين:

حال الاله المنفرد بالالهية، والاحوال المتفرقة للالهة المتعددين ليصل بذلك الى اقناعهما فسلك **اسلوب الاستدراج** – كما ترى ليصل بذلك الى اقناعهما بادخال المنفرد بالالهية، اعظم واغنى فيرجعان اعتقاد تعدد الالهة.

وليس المراد من هذا الاستدلال وجود الحالين في الالهية، والمفاضلة بين اصحاب هذين الحالين لان (المخاطبين) لا يؤمنون بوجود الاله الواحد، فقصد اسلوب الاستدراج اذ قال تعالى **﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾**.

(ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتهوها انتم واباؤكم) خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر.

فانت ترى ان لفظة (خير) قد وضعت التقابل بين المشتركات في صفة ويجوز ان يكون "خير" مستعملا في معنى (الخير) عند العقل، أي الرجحان والقبول بمعنى اعتقاد وجود ارباب متفرقين ارجح ام اعتقاد انه لا يوجد الا اله واحد.

اذ يتبين لهما ان اربابا متفرقين لا يخلوها لهم من تطرق الفساد والخلل في توفهم[1].

وبعد ان عرض السياق "دلالة" التمسك في صحبة آلهتم المتعددين انتقل الى ابطال وجود تلك الالهة على الحقيقة بقوله:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾

يعنى: ان تلك الالهة لا تحقق في الوجود الخارجي بل هي توهمات تخيلوها.

---

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ح٢٧٤/١٢، ٢٧٥.

اما قوله تعالى ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾.

فيبدو للمتامل انتقال الاستدراج من رتبة ادلة اثبات انفراد الله تعالى بالالهية الى رتبة التعليم بامتثال امره ونهيه.

لان ذلك نتيجة لاثبات الالهية الوجدانية له، فهو بيان لجملة (ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه).

اما قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف/٤٠.

فهو خلاصة لما تقدم من الاستدلال على دقه الاستدراج.

أي: ذلك الدين لا غيره مما انتم عليه وغيركم.

وهو بمنزلة رد العَجْز على الصدر لقوله "اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله" الى قوله تعالى "لا ينكرون".

المطلب الثاني: اثر ظاهرة الاستدراج في الكشف عن القيم الاخلاقية

وقد حاول بعض المفسرين الكشف عن بعض اسرار (الاستدراج) التي تقع في السياق القرآني.

ومن امثلة تلك المحاولات القرآنية، ما ذكره الكتاب العزيز، في قصة (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام مع قومه.

وتتوقف لتحليل تدرجيه (عليه الصلاة والسلام) وصولا الى من يستحق العبادة، وهو (الله) تعالى الذي يستحق وحدهّ، تلك العبادة.

واذا امعنت النظر في التدرج اللغوي للتعريف بالهة الحق المبين حيث لا الكواكب ولا القمر ولا الشمس يستحق ان يكون معبوده، وكل منا يأفل او يغيب او ينكسف، فليس سوى اله واحد، تعالى وحده يستحق العبادة دونما ما سواه[1].

فكأن السياق الكريم آثر عدم التصريح لاكثر من سبب اولها.

ليس كل مقام بحسن فيه ذلك (التصريح).

ولو اختار التصريح اولا، وصرح بالدعوة لم يقبلوا قوله.

وتبدأ الحكاية من التأمل في كواكب لقصوره قوله تعالى فلما رأي القمر بازغا، أي طالعا اول طلوعه، بنوره مخترقا الظلمة (قال هذا ربي) رأيه في الاولى – ولما تأمل افل الكوكب، قال: (لئن لم يهدني ربي): الذي قدر على الاحسان الي، بالايجاد والتربية لكون الله الخالق المبدع – لا

[1] ينظر/ مصطلح الاستدراج ص٨٤٩.

يتغير، ولا شريك له بخلق الهداية في القلب فدل على ان الهداية ليست الى غيره، و(لا أكونن) – بعبادة غيره "من القوم الظالمين".

وتلك هي **الاشارة الاولى:** الاشد، والاقرب الى التصريح بنفي الربوبية من الكواكب، واثبات ان الرب غيرها، مع الملاطفة، وابعاد الخصم عما يوجب عناده.

الاشارة الثانية: لما كانت القلوب قد فزعت من الكلام المحجب للحجة.

وتهيأت لقبول الحق ختم الاية بقوله (إني برئ مما تشركون).

أي: من هذا وغيره من باب الاولى.

الاشارة الثالثة: ذكر بعض المفسرين فيه ما لا يخفى بدلالة (الانكار) عليهم و(التوبيخ) لهم، وهذا ما دل عليه قوله تعالى[1]، ﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ الانعام/٨٠.

الاشارة الرابعة: قوله تعالى (وحاجة قومه قال اتحاجون في الله) وكانوا قد حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هداني) يعني: الى التوحيد (ولا اخاف ما تشركون به) يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط، لانها لا تقدر على منفعة، ولا مضرة الا ان شاء ربي ان يصيبني بتخوف من جهتها ان اصبت ذنبا ستوجب به انزال المكروه يجعلها قادرون على مضرتي وسع ربي كل شئ علما: أي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها. افلا تتذكرون فميزوا بين الصحيح والفاسد، والقادر والعاجز كأن قال: وما لكم تتكرون علي الامن في موضع الامن، ولا تتكرون على انفسكم الامر في موضع الخوف[2] وخلاصة القول (يحتمل ان يكون العدل الى ذلك ليعم بالامن كل موحد، وبالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم الموجدين وقومه في حكم المشركين واحسن الجواب ما افاد وزاد)[3].

ونقرأ تلك المحاورة المشتملة على الحجج والمجادلة في شأنها اثبات التوحيد وابطال الشرك، معقبة تلك الحجج بشاهد من احوال الابدي بذكر (مجادلة) اول رسول اعلن التوحيد، وناظر في ابطال الشرك بالحجة الدامغة والمناظرة الساطعة، اذ كانت مجادلة (رسول) لابيه ولقومه.

وكانت اكبر حجة على المشركين من العرب بان اباهم لم يكن مشركا ولا مقرا للشرك في قومه واعظم حجم للرسول (ص)، اذ جاء بالاقلاع عن الشرك.

والاستفهام في قوله: (اتتخذ اصناما آلهة) استفهام انكاري وتوبيخ والظاهرة ان المحكي في هذه الاية مر يحكي موقفا من مواقف "ابراهيم عليه السلام" مع أبيه، وهو موقف غلظة، وقد اظهر ابوه تصلبا في الشرك والاتخاذ في قوله (أتتخذ) افتعال تدل صيغته على افتعال للمبالغة

---

[1] نظم الدرر ح٢/٦٥٩.

[2] الكشاف ح٢/٣٣.

[3] ينظر/ هامش الكشاف ح٣/٣٣.

في تحصيل الفعل ومعنى "تتخذ" هنا تصطفي ونختار، فالمراد تعبد اصناما وكأن المعنى ان ذلك شئ مصطنع، مفتعل، فالاصنام ليست اهلا للالهية وفي ذلك ما يسميه اهل البلاغة "تعريض" بسخافة عقله بان يجعل الهة شيئا هو صنعه. وان مفعول (تتخذ) متعد الى مفعول به واحد، ومحل الانكار هو المفعول به ومن حكاية كلام "ابراهيم" عليه السلام – لابيه انه اكد عليه شيئين.

احدهما: جعله الصور آلهة مع انها ظاهرة الانحطاط عن صفة الالهية.

وجملة "اني اراك وقومك في ضلال" مبينة للانكار في جملة "اتتخذ اصناما آلهة" واكد الاخبار بعرف التوكيد " ان" لما يتضمنه ذلك الاخبار من كون ضلالهم بينا وذلك ما ينكره المخاطب لان المخاطب لما لم يكن قد سمع الانكار عليه في اعتقاده قبل ذلك بحسب نفسه على هدى ولا يحسب أن أحداً ينكر عليه ما هو فيه.

واعلم ان قول "ابراهيم" لما رأى النيرات (هذا ربي) هو مناظرة لقومه واستدراج لهم وانه كان موقنا ينفي الهيتها وهو المناسب لصفة البنوة ان يكون اوحي اليه ببطلان الاشراك وبالحجج التي احتج لها بها على قومه.

ومن المفسرين من قال: ان كلامه ذلك كان نظرا واستدلالا في نفسه لقوله ﴿ **لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي** ﴾ الانعام/٧٧ فانه يشعر بانه في ضلال لانه طلب هداية بصيغة الاستقبال اي لاجل اداة الشرط، وليس هنا بمتعين لانه قد يقوله لتنبيه قومه الى ان لهم ربا بيده الهداية، فيكون كلامه مستعملا في التعريض على انه قد يكون ايضا مرادا به على الهداية والزيادة فيها على انه قد يكون اراد الهداية الى اقامة الحجة حتى لا يتغلب عليه قومه[1].

المطلب الثالث: ظاهرة (التقابل) في نظم الاستدراج

قال تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا*** ﴾ الكهف/٣٢-٣٤

تأمل ايها الدارس الكريم ما تجسده هذه المحاورة في قواماتها المتنوعة ودروس انسانية بليغة عبر طرائقها اللغوية الاخلاقية العظيمة، ومعان عظيمة مؤثرة.

واعلم أن هذا "الصاحب" لم يكن من المؤمنين، اما (الاخر) فهو المؤمن اذ وعظ صاحبة ونبهه على عظمة الايمان والعمل الصالح.

ف(حاروه)، أي: فراجعة الكلام (بالفخر عليه والتطاول).

ونصحه صاحبه المؤمن ان يعدل عن المجادلة التي هي التباهي والكبرياء.

---

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ح٣٢٦/٧.

(فقال لصاحبه)، اما بمقابلته (لاخيه)، واما لكفره، وهو شرك مكذب بالبعث، بطر بنعمة الله عليه.

وجاء الخطاب بجملة اسمية دالة على غرضين، (التعجب) و(الاستفهام) (اكفرت بالذي خلقك).

ويؤثر السياق "اسلوب الموصول" لان مضمون الصلة من شأنة ان يصرف من يدركه عن الاشراك به، فانهم يعترفون بان الله هو الذي خلق الناس.

أي: خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه، فكان خلقه حلقا له "سواك"، عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال[1].

ثم تأمل الاسم الموصول "الذي" العائد على الخالق، فقد عرف بطريق الموصولية لان مضمون الصلة من شأنه ان يصرف من يدركه عن الاشراك به، فانهم يعترفون بان الله هو الذي خلق الناس اما صاحبه، فهو الذي كان كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في "البعث"

ويرتقي الحوار الى مقام اعلى، وقد تصدر التركيب " لكنا" التي اصلها " لكن أنا"، " لكنا" الدالة في اصل معناها على الانتقال من الانشاء الاستفهامي "اكفرت" الى الخبر المؤكدة بـ (لكن)، (انا)، و(انا) مبتدا خيره ضمير الشأن "خير".

أي: هو الله ربي.

والخبر في قوله تعالى "هو الله ربي"، مستعمل في الاقرار أي: اعترف بانه ربي[2].

ويتابع الصاحب المؤمن حواره مع صاحبه.

﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا** ﴾ الكهف/٣٩

فالجملة معطوفة على جملة " اكفرت"، عطف انكار على انكار، الاول: قد حققه وصية من المؤمن للكافر، والمعنى: هلا قلت عند دخول الجنة، الكهف/٣٩.

والنظر الى رزقك (ما شاء الله) اعتراف بانها وكل شئ انما حصل بمشيئته الله، وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء ضربها ﴿ **قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ** ﴾، الكهف/٣٩.

اقرار بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها، انما هو بمعونته وتأييده.

(اذ لا يقوى احد في يديه ولا في ملك يدى الا بالله)[3].

وهنا تتوقف لتدرك نتيجة المحاورة التي استدرج فيها صاحب (الجنة).

فالخطوة الاولى: هي الاقرار بأنَّه (هو الله ربي).

---

[1] الكشاف ح٢/٥٣٠.

[2] الكشاف ح٢/٥٣١.

[3] التحرير والتنوير ح١٥/٣٢٣، ٣٢٤.

والثانية: (لو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله، لا قوة الا بالله، وفيها اقرار).

والثالثة: (فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك) وهي، ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب الحال من (الفقر) و(المعنى) فيرزقني لايماني جنته (خيرا من جنتك).

يقول (البقاعي)[1]، لما كان الانسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه.

فاذا حصل له من دواعي الغنى وطول الراحة وبلوغ المأمول.

والاستدراج والظفر بالسؤال ما يربيه ويثبت اصوله ويقربه اضمحل الخوف فلم يزل يتضاءل حتى يتلاشى فكان عدما.

فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر ما اثمر له الرجاء من امانه من سوء ما يأتيه به القدر مقسما: (ولئن رددت) أي: ردني راد، الى ربي المحسن اليَّ في هذه الدار في السعة على تقدير قيامها الذي يستعمل في فرقته اداة الشك (لاجد خيرا منها)، أي: من هذه الجنة.

---

[1] نظم الدرر ح٤/٤٦٨.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

المبحث الاول: أهمية الاستدراج في التعبير عن الخير والشر

هل الاستدراج بين الحكم باتجاه ارادة (الشر) فقط وهل يمكن ان يقع بقصد الخير كذلك

قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ الانبياء/٣٤-٣٥.

قال صاحب الكشاف[1]، كانوا يقدرون انه يشمت فيشمتون بموته: فنفى الله تعالى عنه الشماته بهذا، أي: قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا، فلا انت ولا هم الا عرضة للموت.

فاذا كان الامر كذلك، فان مت انت ايبقى هؤلاء؟.

(ونبلوكم) أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، والينا مرجعكم فسنجازيكم على حسب ما يوجد من الصبر او الشكر وانما سمي "ابتلاء"، وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم، لانه في صورة الاختيار (فتنة) مصدر مؤكد "نبلوكم" .

وقال (ابو حيان) هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة، ودلالة على تنزيهه عن الشريك، وتوكيدا لما تقدم عن ادلة التوحيد، ورداً على عبده الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه المخلفات المتصرف فيها التصرف العجيب، كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع.

و(الرؤية) هنا رؤية القلب – إذ قدم (الشر) على الخير لان الابتلاء به اكثر ولان العرب تقدم (الاقل) و(الاردأ)، ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾، فاطر/٣٢.

وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما – الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر، والصحة والمرض والطاعة والمعصية، والهدى والضلال.

ونقل عن ابن عطية قوله: هذان الاخيران ليسا داخلين في هذا، لان من هدى فليس هداه اختيارا.

ولا من اطاع بل قدر تبين خيره والظاهر – كما قال (ابو حيان) ان المراد من الخير والشر هنا، كل ما صح ان يكون فتنة وابتلاء، وعن (ابن عباس) ايضا (بالشدة والرخاء) "اتصيرون" على الشدة، وتتكرون على الرخاء ام لا.

وقيل: (المحبوب) و(المكروه).

---

[1] ينظر/ الكشاف ح١٨٧/٣.

"والينا ترجعون، فنجازيكم على صدر منكم في حالة الابتلاء من (الصبر) والشكر، وفي غير الابتلاء[1].

وبعد أجدك على يقين ان (الاستدراج) قد يتجه بقصد دلالة الخير، او يكون يقصد به الكشف عن ارادة الشر، ولعل قرينته تفصح عن ذلك الاتجاه انه هو (السياق).

﴿ **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ النمل/٤٠.

يشكر لنفسه، لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفرات وترتبط به النعمة ويشمل المزايد وقيل: الشكر قيد للنعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

وفي كلام بعض المتقدمين: ان كفران النعمة بواد وقلما اقشعت ناقرة فرجعت في نصابها، فاسند الى شاهدنا بالشكر، واستدم راهنا بكرم الجواد.

واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا "غني" عن الشكر، "كريم" بالإنعام على من يكفر نعمته.

والذي قاله "سليمان عليه السلام" عند رؤية العرض شاكرا لربه، جرى على شاكله ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة[2].

بحسن الشكر، كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر ومعنى قوله (هذا من فضل ربي) اذا اتياه بعرشها – أي الملكة بلقيس وتحصيل ما ارادت من ذلك هو من فضل ربي واحسانه.

ثم علل ذلك بقوله "ليبلوني آاشكر ام آاكفر" وهنا تجد السياق قد اختار (الشكر).

قال ابن عباس (رض): المعنى أشكر على السرير وسوقه ام اكفر اذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني.

وتلقى "سليمان" عليه السلام بالنعمة، وفضل الله بالشكر اذ ذلك نعمة متجددة.

والشكر قيد النعم، "ليبلوني" مدلوله الحقيقي هو (الاختبار).

(ومن شكر فانما يشكر لنفسه)، أي: ذلك الشكر عائد ثوابه اليه اذ كان قد صان نفسه عن كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه ومن شكر نعمة الله عليه.

(ومن كفر)، أي: فضل الله ونعمته عليه (فان ربي غني) عن شكره.

لا يعود منفعتها الى الله، لانه (الغني) المطلق (الكريم) بالإنعام على من كفر نعمته.

---

[1] الكشاف ح٣/٢٧٩.

[2] ينظر/ التحرير والتنوير ح٧/٣٢٦.

والظاهر ان قوله تعالى: (فان ربي غني كريم)، هو جواب الشرط والعدول عن الإضمار الى الاظهار تاكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله (فضل ربي) ولذلك اضمر ما في قوله تعالى "غني" أي: غني عن شكره[1].

المبحث الثاني: فائدة الاحتجاج باسلوب الاستدراج

قال تعالى في سورة (الرعد):

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد/٣٣.

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ الرعد/٣٤.

اما معنى قوله تعالى (ام بظاهر القول) فهو احتجاج من باب الاستدراج لحثهم على التفكير.

أي: اتقولون بافواهكم من غير رؤية وانتم البلغاء فتفكرون فيه لتقفوا على بطلانه[2].

ولعل من المفيد هنا ان نشير الى ان بعض المفسرين قد اشاروا الى وجود نظم استدراج واذ عدوه من افضل وسائل الدعوة والتربية والتوجيه لكونه يتجنب سبيل المواجهة واسلوب المجابهة الى طريق الملاطفة في النصح، بكلام منصف غير مشدد[3].

فانت تلاحظ في النص القرآني الكريم:

قد سلك الاحتجاج في سياق الاستدراج، أي: ان في هذه الاية "احتجاج بليغ مبني على سياقات فنون بلاغة البيان"

وهذا ما يفهم من قوله تعالى (أم بظاهر من القول).

فالسياق هنا: (احتجاج باسلوب الاستدراج)، لان (أم)، هنا افادت التقرير، والمعنى.

اتقولوه بافواهكم من غير روية، وانتم البلاء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه[4].

وقد ذكرنا ما قدمه (الشهاب الخفاجي)، مما رواه عن الامام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) انه قال لبعض من تشكك في (البعث والآخرة) ان كان الامر كما تقول من انه لا قيامة فقد تخلصنا جميعا.

وان لم يكن الامر كما تقول فقد تخلصنا وهلكت.

قال الله تعالى: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ﴾ المائدة/١١٦.

---

[1] البحر المحيط ح٧/٧٣، ٧٤ – ينظر ايضا: التحرير والتنوير ح١٩/٢٧٢.

[2] ينظر/ المثل السائر، ابن الاثير ح٢/٦٤.

[3] حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ح٤/٤٦.

[4] هذا القول، ذكره/ صاحب التفسير (الوسيط) ح٧/٨٨.

سلك النص الكريم مسلك الحوار بين "الله" تعالى، ونبيه (عيسى) عليه السلام.٠

ويبدو – والله اعلم – ان الحوار اتخذ مسار "الاستدراج" إذ جاز التعبير هنا.

بدليل انك تجد نبي الله "عيسى" عليه السلام، يتقرب من (الله) ويدنو من مقامه.

والله تعالى يعلم ان (عيسى) عليه السلام، لم يفعل، ولكن اريد اعلان براءته والكشف عن كيد المشركين، جهارا نهارا – كما يقال.

فيتصدر الحوار: استفهام انكاري، تقدم فيه المسند اليه على الخبر الفعلي في قول تعالى "أأنت قلت" ليدل على ان الاستفهام متوجه الى تخصيصه بالخبر دون غيره مع ان جواب الرجل حاصل لا محالة فقول قائلين: (اتخذوا عيسى وامه الهين) واقع.

وانما القي الاستفهام لـ (عيسى)، أهو الذي قال لهم ذلك تعريضا بالإرهاب والوعيد بتوجه عقوبة الى من قال هذا القول.

اذ يعلم احبارهم، انهم الذين اخترعوا هذا القول، وانهم المراد بذلك.

ومعنى القول الكريم (اتخذوني وامي الهين سوى الله)، أي: اشركوا مع الله غيره ولم ينكروا الهية الله).

وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى، اهم من تبرئة نفسه على انها:

مقدمة لتبرئ جملة (ما يكون لي ان اقول) مستأنفة، لانها مقدمة للتبري لانها جواب السؤال وجملة (سبحانك) تمهيد جواب السؤال[1].

ويبدو انها الخطوة الاولى التي تضمنت معنى الاستدراج.

وجملة "سبحانك" تمهيد، ثم (ما يكون لي): مستانفة هي الخطوة الثانية.

مبالغة في التبرئة من ذلك، (ما يوجد حق ان اقول)، ذلك ابلغ من (لم اقله) لانه نفي ان يوجد استحقاقه ذلك القول.

و(بحق)، (الباء) واقعة في خبر "ليس" لتاكيد النفي الذي دلت عليه "ليس".

وقد افاد الكلام تاكيد كون ذلك ليس حقا له بطريق (المذهب الكلامي) وهو من فنون (الاستدراج) لانه نفي ان يباح له ان يقول – (ما لا يحق له) فعلم ان ذلك ليس حقا له، وانه لم يقله لاجل كونه كذلك وهذا تاكيد في غاية البلاغة والتفنن، اعتقد أن "اسلوب الاستدراج" قد جمع فروعه.

ثم ارتقى في التبرئ: فقال تعالى: ﴿ **إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** ﴾، فالجملة مستأنفة لانها (دليل). و(حجة) لمضمون الجملة قبلها، فاستدل على انتفاء ان يقوله بان الله يعلم انه لم يقله.

ويبدو انها الاشارة الاخرى لتضمن القول الكريم، "الاستدراج".

---

[1] التحرير والتنوير ح٧/١١٤.

أي: انه احال على علم الله تعالى، وهو كقول العرب (يعلم الله اني لم افعل).

اما قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) مبالغة في التنوية.

واضافة "النفس"، الى اسم الجلالة، هنا بمعنى العلم الذي لم يطلع عليه غيره (ولا اعلم ما تعلمه).

أي: ما انفردت يعلمه وقد حسنه (المشاكلة) كما اشار الزمخشري[١] (وان تعذبهم) فوض امرهم الى الله، جوز المغفرة لهم رحمة بهم.

العزيز: كناية عن كونه يغفر عن مقدرة وذكر الحكيم لمناسبته للتفويض.

أي: المحكم للامور العالم يليق بهم[٢].

وفي ضوء هذه النظرة المتكاملة، والشاملة يمكن ان يعد الاستدراج من فنون البديع (اللفظية) أو (المعنوية) كفن الجناس أو (الطياق) أو (المقابلة)، بل انه اتجاه في ثراء البلاغة والخطاب.

يستجلب فيه المتكلم كل فنون الكلام التي من شأنها أن تؤدي الى استدناء القبول لدى المخاطب واستدعائه- وقطع اسباب النفور ومولداتها في نفس المخاطب[٣].

ومما يشجع الباحث، شهادات اهل التفسير والبلاغة، ومعاني القرآن واعرابه.

التي تتفق على وفرته في الاعجاز المبين وان فيه سعة من هذا.

ومن حسن الحجاج، والملاطفة، خاصة لمنكري المعاد الاحزوي، وعباد الاوثان والاصنام[٤].

وصدق القول (إن لمجرد الفرض والكلام من باب "الاستدراج"، وارخاء العنان مع الخصم حيث يراد تبكيته وهو ما تتراكض فيه خيول المناظرين، فلا بأس بحمل كلام الله تعالى عليه...)[٥].

ولعل من باب "الطرفة والالفة"، والملاطفة انك تجد فنونا بلاغية اخرى قد حفت بكل "غرسة" استدراج كانها تطوقها، وتكمل ضوءها الذي يشع في القلوب والمشاعر وقد تستغرب لو وجدتها تطوق بدائرة النص، تقرب المتلقي الى الدلالة الرئيسة والى الدلالات الاخرى، ومنها:

مصطلحات ذكرت بموضعها مثل (الالتفات) و(المخادعة) و(التعريض) و(الكيد)، (المغالطة) و(التهوية) وغيرها بل كأن فيها بها عناصر مساعدة للكشف عن حدود هذا المصطلح، وابراز شخصيته واثره في من توالت عليهم النعم، وقصر شكرها، أي (ان استدراج الله تعالى العبد، بمعنى انه لما جدد له نعمة وانساه الاستغفار)[٦].

---

[١] الكشاف/ الزمخشري ح٥٣٢/١، ٥٣٣، ٥٣٤.

[٢] التحرير والتنوير ح١١٦/٧.

[٣] ينظر/ مصطلح الاستدراج/ المفهوم والاثر – الاستاذ الدكتور محمد الخراز ص٨٧٤.

[٤] ينظر/ ابن الاثير – المثل السائر ح٦٦/٢، العلوي – الطراز ح٢/ ١٥٠، ١٥٦.

[٥] الالوسي – روح المعاني ح١/ ٣٩٤.

[٦] ينظر/ لسان العرب – ابن منظور مادة (درج).

قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ غافر/٢٩.

اطلق (ابن الاثير) على الاستدراج في سياق هذا النص الكريم هنا باسلوب المخادعة وهو فن دلالي بلاغي مؤثر.

اذ يقول الا ترى لطف احتجاجه على طريقة التقسيم بقوله:

ان يك كاذبا فكذبه عائذ عليه وان يصدق يصبكم بعض ما وعدكم به ففيه من: الادب والانصاف ما لا يخفى.

وفيه من خداع الخصم واستدراجه ما لاخفاء به[١].

وقيل ان وصف " الاستدراج" – هنا قصد " خداعا"، (غير مناسب ولا دقيق وليس كل استدراج يوصف بالخداع فقد يستدرج احد لمعنى او هدف صالح تريد له من غير ان تخادعه في ذلك الاستدراج لكنك تاتي له من احسن ابواب التلطف الكلامي البلاغي).

وهذا رأي أ.الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخراز الاستاذ المشارك في (جامعة القصيم).

وان كانت "المخادعة" هنا بالاقوال التي تقوم مقام مخادعة الافعال[٢].

لكن نعتقد يقينا ان (السياق) هو الذي يحدد اتجاه وصف المخادعة.

فقد يقع الاستدراج في محيط (المشاكلة): أي: مشاكلة الخداع بالخدع.

يقول تعالى في سورة النساء/١٤٢: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾.

وهنا لابد ان تتوقف عند اشارتين مهمتين، **الاولى**، اننا نميل الى الراي – الذي سنطبقه ايضا – وهو لا تنحصر اهداف هذا (البحث) على رصد مواضع الاستدراج، بل ان احد اهدافه، رصد ما تضمنه سياق (الاستدراج) من اشارات بلاغية، ونكت دقيقة في اعجاز من (استدراج) الخصم الى الاقرار بالتجاوز.

الثانية: قد افاد الكلام تأكيد كون ذلك ليس حقا له بطريق "المذهب الكلامي".

لانه نفي ان يباح له ان يقول ما لا يحق له فعلم ان ذلك ليس حقا له وانه لم يقله لاجل كونه كذلك فهذا تاكيد في غاية البلاغة والنفس.

ثم ارتقى في التبرى فقال: (ان كنت قلته فقد علمته)، الجملة مستأنفة لانها (دليل) و(حجة) لمضمون الجملة التي قبلها.

﴿ **إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾ المائدة/١١٦.

﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ المائدة/١١٨.

---

[١] ينظر/ المثل السائر ح٢/ ٢٠٥.

[٢] ينظر/ مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الزقازيق ٢٠١٥ – ص٨٤١ – ٨٤٢.

فوض امرهم الى الله، جوز المغفرة لهم رحمة منه بهم.

(العزيز) كنايه عن كونه يغفر مقدره، وذكر (الحكيم) لمناسبته للتفويض أي: المحكم للامور العالم بما يليق لهم.

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ ابراهيم/٥.

﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ ابراهيم/٦.

كقولك خزهم بالشدة والتي أي: ينعم الله.

المبحث الثالث: الاستدراج للدلالة على الخير والشر

وازعم اني وجدت التدبر قراءة ثانية، قد تحرض التفكير للكشف عن اسرار اخرى للاستدراج في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيم** ﴾ النمل/٤٠.

فالسياق الكريم يدل على انصراف (سيدنا سليمان) الى شكر الله تعالى على منحه من فضله.

وضرب حكمة خلقية دينية (من شكر الله فانما يشكر لنفسه).

فكل متقرب الى الله بعمل صالح يجب ان يستحضر ان علمه انما هو لنفسه.

يرجو به ثواب الله ورضاه في الاخرة، ويرجو دوام التفضل من الله عليه في الدنيا فالنفع حاصل له في الدارين ولا ينتفع الله بشئ من ذلك.٠

فـ (اللام) لام الاجل أي التعليل وليست اللام التي يعده بها فعل الشكر في نحو (واشكروا لي) والمراد بـ (من كفر) من كفر، فهل الله عليه بان عبد غير الله.

فان (الله) غني عن شكره، وهو كلم في امهاله، ورزقه في هذه الدنيا.

فما اروع حكمة الله وما ارقي اسلوب الاستدراج في كل موضع، وانت ترى ان بلاغة القول اثرت (العدول) عن الاضمار الى الاظهار في قوله تعالى (فان الله غني) وفي ذلك تاكيد للاعتراف بمتحض الفضل المستفاد من قوله تعالى (فضل ربي)، ولا تخص دلالة "باء" المتكلم على التكريم والاقرار والمباهاة بالشكل.

وقد وصف الزمخشري – باسلوبه البديع تلك الصورة المتقابلة/ المتكاملة لاسلوب (الاستدراج) لقوله تعالى (يشكر لنفسه) لانه يحط به عنها عبء الواجب.

وبصونها عن سمة الكفران، وترتبط به النعمة ويستمد المزيد.

فالشكر، قيد للنعمة الموجودة، وصيد للنعمة المفقودة

وأعلم أن (الله) غني عن الشكر، كليم بالإنعام على من يكفر نعمته.

فان انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: المستوى البلاغي والدلالي لاسلوب الاستدراج

المبحث الاول: (بلاغة الاستدراج)، ام (استدراج البلاغة)

لعل من المناسب هنا الاجابة عن السؤال الاتي: أترى ان الاستدراج، فن بلاغي من "فنون" اخرى تنتمي الى احد فروع (البلاغة) مثل (البيان) أو (البديع)، ام الاستدراج (البلاغة) نفسها؟ وقد تنتمي اليها فنون كثيرة من فروع "علم البلاغة وتجد ان في سياقها وفرة المصطلحات البلاغية التي تخص (الاستدراج) دلالة او وصفا.

قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ **فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ التوبة/٥٥.

والمعنى: فلا تستحسن ولا تفتتن لهم من زينة الدنيا، كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ طه/١٣١، فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب.

بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات وللصائب وكلفهم، الانفاق معه في ابواب الخير، وهم كارهون له على رغم انوفهم.

فان قلت: ان صح تعليق التغليب بارادة الله تعالى، فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون؟.

قلت: المراد، الاستدراج بالنعم، كقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ ال عمران/١٧٨.

كانه قيل: ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالمنع عن النظر للعاقبة)[١].

﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾ الانعام/٤٤.

ومثلها في سورة المؤمنون/٧٧ ﴿ **إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾، وسورة الزخرف/٧٥، ﴿ **وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴾.

ومثله قوله تعالى في ﴿ **وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** ﴾ الروم/٤٩.

ويعني ان اعادة قوله (من قبله) زيادة تنبيه على الحالة التي كانت (من قبل نزول المطر)[٢].

---

[١] ينظر/ الكشاف ح٢/٢١١.

[٢] ينظر/ الكشاف ح٢/٣١١.

التحرير والتنوير ح٢١/٢٢.

وقد ذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى في سورة الروم/الاية ٤٩، ﴿ **وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ** ﴾.

ان معنى التوكيد فيه، الدلالة على ان يجهدهم بالمطر قد تطاول وبعد، فاستحكم باسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك[١].

ونقل (ابو حيان ان المعنى: انما يريد الله ان يملي لهم ويستدرجهم ليعذبهم)[٢].

ويبدو – والله اعلم – أن المعنى: ليعذبهم في الحياة الدنيا وفي الاخرة، ونبه على عذاب الآخرة بعلته وهو زهوق انفسهم على الكفر – كناية عن الموت.

كانه قيل: ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم؟

فقل: انما نملي لهم ليزدادوا اثما.

فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم؟

قلت: هو هنا علة للاملاء، وما كل علة بعرض.

وانما هي علل واسباب، فكذلك ازداد الاثم جعل علة للاعمال وسببا فيه[٣].

قال تعالى:

﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ المائدة/١١٦–١١٨

قال بعض المفسرين: (استدراج) واقع على طريقة التعريض، للمخاطب في امر ينكره او يراد تبكيته فيه[٤].

قال "الشهاب الخفاجي" – في حاشيته على تفسير البيضاوي:

"**الاستدراج**" **فن من البديع بديع**[٥].

---

[١] ينظر/ الكشاف ح٣/٣٦٦.

[٢] ينظر/ البحر المحيط ح٥/٥٦.

[٣] ينظر/ الكشاف ٣٣٩–٣٤٠.

[٤] ينظر/ روح البيان – اسماعيل حقي البرساوي ح١/٥٦.

[٥] ينظر/ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ح١/٣٢٦.

"وذكر" القرطاجني أن اهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بـ "تدرج" نخلصا وما لم يكن بتدرج لكن بانعطاف طارئ على وجهة الالتفات استطرادا[1].

ويصف العلوي – الاستدراج – وصفا رقيقا انيقا، فيقول:

اذا اراد تحصيل مقصد من المقاصد فانه يحتال بايراد ألطف القول واحسنه فما هذه حالة من الكلام يقال له الاستدراج[2].

والى ابعد من ذلك وصل رأي (ابن الاثير) اذ (زعم ان مدار البلاغة كلها على الاستدراج واذا خفق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه) اى على "الاستدراج"[3].

ومن ايات (الاستدراج) – يتبين لنا ان سمة الله تعالى في المستدرجين امهالهم بعد ان لم يتعظوا بما امتحنهم الله به.

من صنوف الباساء والضراء.

او بما امتحنهم به من النعم او بعد ان كذبوا بآيات الله التي من شأنها ان تحمل المتأمل فيها على الايمان وان سنة الله تعالى في هؤلاء مدة امهالهم.

ان يوسع عليهم الرزق والخيرات ويزيد عليهم الرفاء الذي هو فيه ويعطيهم ما يتمنون من النعم على وجه (الاستدراج) لهم وزيادة اتمهم لمقابلتهم هذه النعم بالمعاصي.

فكل نعمة يعطاها المؤمن يجب ان يقابلها بطاعة جديدة وشكر جديد، فاذا اغفل هذا ونسي شكر النعمة بذكر المنعم فهو مقصور وغافل.

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ/٢٢.

﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ* قُل لّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ* قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سبأ/٢٣-٢٧.

ومثله قوله تعالى: **﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾** هود/٦٣.

يقول: الشهاب الخفاجي في سياق تفسير قوله تعالى (٦٣/هود).

---

[1] منهاج البلغاء ح١٠٣/١.

[2] الطراز – للعلوي ح١٤٨/٢.

[3] ينظر/ المثل السائر ح٦٤/١، ح٢٠٥/٢.

ان: حرف الشك، واصل وضعها انها لشك المتكلم، وهو غير شاك في كونه على بينة لكنه من (الكلام المنصف والاستدراج)[١].

وتابعة "الالوسي" في مرادفة (الكلام المنصف) لـ "الاستدراج"[٢].

من المفيد التاكيد هنا ان "الاستدراج" كونه اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية التي يجمعها. (لطف العبارة، ودقة المسلك الى قلب السامع وعقله).

واعلم ان هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير، ويسميه اهل البيان (الاستدراج) او عموم وخصوص[٣].

أما الالتفات فهو من فنون "الاستدراج".

وقال" القرطاجني"[٤]، عن ابي عبيدة واهل المعاني (يتدرج المتكلم الى الشئ في خفة قليلا قليلا ولا يباغت ولا يجاهر).

المبحث الثاني/ قال اهل البلاغة

خصوصية فن الاستدراج: يقوم على الملاطفة ولا ينفك عن الملاينة – كما وصفه أهل البلاغة[٥].

ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾ التكوير/٨-٩

فانت ترى ان توجيه السؤال الى المؤودة في قوله تعالى "سئلت باي ذنب قتلت" التكوير/٨-٩.

دون (الوائد) مع ان الذنب له دونها

لتليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها

واسقاطه من درجة الخطاب، والمبالغة في تكيته

وهذا نوع من الاستدراج (التعريض)، أي: واقع على طريق التعريض.

يقول (الالوسي) في (روح والمعاني). توجيه السؤال الى (المؤودة) في قوله تعالى سئلت، دون الوائد مع ان الذنب له دونها، لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، واسقاطه من درجة الخطاب، والمبالغة في تبكيته، فان المجني عليه، اذا سئل بمحضر الجاني ونسبت اليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثا للجاني على التفكير في حال نفسه وحال المجني عليه.

---

[١] تفسير البيضاوي ٤/٤٦.

[٢] روح المعاني ح٥/١١٠.

[٣] الدر المصون ح١٢/٢.

[٤] ينظر مجلة اللغة العربية، ص٢٤.

[٥] الطراز ح٢/١٤٨.

فيرى براءة مساحته، أي مساحة المجني عليه– وانه – أي الجاني – هو المستحق العقاب

والفن الاخر مما اقترن ذكره، اسلوب الاستدراج في سياق (حسن التقسيم) أي تقسم المعنى باقسامه تستكمله فلا تنقص عنه ولا تزيد عليه.

المبحث الثالث: شواهد في الحكمة من الاحتجاج باسلوب الاستدراج

قال تعالى في سورة الرعد/٣٣

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

فقد اشار بعض المفسرين الى ما تضمنه السياق الكريم من: احتجاج بليغ قواعده فنون من البيان والمعاني.

فهو احتجاج من باب "الاستدراج" لحثهم على التفكير.

أي ان قوله تعالى: (أن الله الذي هو قائم رقيب) على كل نفس صالحة او طالحة.

" بما كسبت" يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ... افمن هو بهذه الصفات لم يوحدوه؟

"وجعلوا" – وهو الله الذي يستحق العبادة وحده.

"شركاء" أي، جعلتم له شركاء فسوهم له من هم ونبئون باسمائهم.

ثم قال "ام تنبئونه" (أم) المنقطعة كقولك للرجل: قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف، ومعناه، اتنبؤونه شركاء لا يعلمهم في الارض، وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم[1].

والمراد: نفي ان يكون له شركاء، ونحو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ يونس/١٨.

ويبدو ان الخطاب الى نبينا محمد (ص): أي (قل لهم يا محمد) (سموهم) أي: بينوا اسماءهم على جهة التهديد، أي: انما يسمون "اللات" و"العزى" و"مناة" و" هبل".

ومعنى السياق (اتنبئونه بشركاء، لا يعلمهم في الارض وهو العالم بدا في الارض والسموات، فاذا لم يعلمهم على انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم).

والمراد نفي ان يكون له شركاء، أي ان حقيقة هذا النفي ليسوا بشركاء وان الله لا يعلمهم كذلك، لانهم ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله[1].

---

[1] ينظر/ الكشاف ح٢/٣٩١.

وفي هذه الاية اشارات بليغة في طريق (الاستدراج) وعرضه مبنيا على فنون بيانه وبديعية، توقف عندها بعض المفسرين، ومنها: ما اشار اليه (الشهاب الخفاجي) اذ يقول: "في هذه الاية احتجاج بليغ مبني على فنون علوم البلاغة".

اولها: (افمن هو قائم) (احتجاج) عليهم و(توبيخ) لهم على القياس الفاسد.

ثانيها: "وجعلوا لله شركاء".

وضع المظهر موضع المضمر للتنبيه على انهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه.

ثالثهما: " قل سموهم"، أي: عينوا اسماءهم فهو انكار احد في اسمه لوجودها على وجه برهاني كما تقول: ان كان الذي تدعيه موجودا فسمه.

رابعا: "ام تنبئونه بما لا يعلم": احتجاج من باب نفي الشئ، اعني المعلوم بنفي لازمه وهو العلم وهو من " الكتابة".

خامسا: "ام بظاهر القول" احتجاج من باب الاستدراج و"الهمزة" للتقرير لبعثهم على التفكير، والمعنى: (اتقولون بافواهكم من غير روية)[٢].

سادسها: (التدريج) في كل من الاضرابات على اللطف وجه لتقفوا على بطلانه.

اما **<u>الاولى</u>** من جهة (المعاني) فان الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام مؤخرة من تقديم لان همزة الاستفهام لها الصادرة، فتقدير اصل النظم (فأمن هو قائم).

امن من جهة المعاني، فانك تجد ان تدل على معنى: قل لهم يا محمد (سموهم) – بصيغة الامر.

أي: بينوا اسماءهم على جهة التهديد.

اما **<u>الثانية:</u>** فان في النظم حذفا يدل عليه ما هو مذكور فيه او يدل عليه السياق والوجه في بيان النظم ان التفريع على مجموع قوله تعالى:

وهم يكفرون بالرحمن وايمانك وانه ربك المقصور عليه الربوبية يتفرع على مجموع ذلك:

وان (استفهام) انكار عليهم من هو قائم على كل نفس ممن ليس مثله من جعلوه له شركاء:

أي: كيف يشركونهم وهم ليسوا من الله

و"من هو قائم على كل نفس"، هو الله الاله الحق المدبر.

وخير (من هو قائم) محذوف دلت عليه جملة "وجعلوا لله شركاء".

<u>والتقدير: (أمن هو قائم على كل نفس ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة)</u> دل على ذلك تقديره:

---

[١] ينظر/ الكشاف ح٢/٣٩١.

[٢] ينظر/ التفسير الوسيط/ نقله عن (الطيب) في (التفسير الوسيط) ح٧/٤٨٨.

اما الثالثة: فهي: (العدول) عن اسم الجلالة الى الموصول في قوله عز وجل (افمن هو قائم) لان في الصلة دليلا على انتفاء المساواة.

المبحث الرابع: تنوع اساليب تركيب الاستدراج، ومنها ما يمكن ان نسميه (التقديم الاستدراجي)

ومثله في قوله تعالى:

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ** ﴾ هود/٣٥

فان تقديم "علي" مؤذن بالقصر، أي: اجرامي علي لا عليكم فلماذا تكثرون ادعاء الافتراء كأنكم ستؤاخذون بتبعته.

وهذا جار على طريقة (الاستدراج) و(الكلام المنصف).

ومعنى جعل الافتراء فعلا للشرط، انه ان كان وقع الافتراء كقوله:

"ان كنت قلته فقد علمته".

ولما كان الافتراء على الله اجراما عدل في الجواب عن التعبير بالافتراء[١].

مع انه المدعى الى التعبير بالاجرام فلا حاجة الى تقدير، فعلي اجرام افترائي وذكر حرف "على" مع الاجرام مؤذن بان الاجرام مؤخذة له كما تقتضيه مادة الاجرام وجملة "وانا برئ مما تجرمون": معطوفة على جملة الشرط والجزاء، وظاهرها انها تذييل للكلام وتاييده بمقابله، أي: فاجرامي علي لا عليكم كما ان اجرامكم لا تنالي منه تبعة، ولا حاجة الى تقدير المضاف في قوله مما تجرمون، أي: تبعته، وانما هو تقدير معنى لا تقدير اعراب، فأنت ترى ان الموقف اقتضى هنا سبيل الاستدراج واعلم ان الشئ يؤكد بهذه كقوله تعالى:

﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ الكافرون/٢-٣.

وقد أشرنا سابقا الى أمثلة اخرى من الاستدراج في حوار الله مع نبيه "عيسى" عليه السلام.

﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾ المائدة/١١٦.

انه (استدراج) واقع على طريق " التعويض" للمخاطب في امر ينكره.

او يراد تبكيته فيه[٢].

---

[١] ينظر/ التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور ح١٢/٦٤-٦٥.

[٢] ينظر/ روح البيان – اسماعيل حقي البرساوي ح١/٥٦.

نقل عن العالم البلاغي المفسر شرف الدين الطيبي، عند حديثه عن سؤال الله تعالى لنهيه، ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ...**﴾ المائدة/١١٦.

فان المجني عليه اذا سئل بمحضر الجاني، ونسبت الجناية اليه دون الجاني بحث ذلك الجاني على التنكر في حاله، وحال المجني عليه، فيرى براءة ساخنة

وانه هو المستحق للعقاب والعذاب.

ويبدو ان كون هذا استدراجا على طريق "التعويض"، هو ابلغ اذ من التصريح اذ التصريح بالاستدراج، سلوك طريق توصل الى المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له، كما سئل "عيسى ابن مريم..." عليه السلام دون الكفره

الفصل الرابع

الفصل الرابع: من مواضع الاستدراج في مخاطبات الانبياء وخطابتهم

المبحث الاول: من مخاطبات الانبياء

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هود/٦٣[١]

وهذا موقف (حوار) بين (هود) عليه السلام – وقومه.

قال اهل البلاغة في بيان اهمية (الاستدراج) وبلاغته هنا.

قد ورد القول الكريم في وصف دلالة (إنْ) في قوله تعالى: (ان كنت) وكان المتلقي على يقين تام في امره، الا ان خطاب المخالف على هنا الوجه اقرب الى القبول.

فكأنه قال (قدروا اني على بينه من ربي واني نبي على الحقيقة).

وانظروا اني ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره، فمن يمنعني من عذاب الله؟[٢]

(فما تزيدوني على هذا التقدير غير تخسير...)[٣]

واشار (الشهاب الخفاجي) الى ان حرف شك، واصل وضعها انها لشك المتكلم[٤].

وهو غير شاك في كونه (على بينة)

لكنه من الكلام المنصف، ويبدو ان العطف هنا (الاستدراج) من باب (عطف الكل) او الفرع.

وقد ذكر (الالوسي) ايضا ان (الكلام المنصف) ينتمي الى "الاستدراج".

ويفهم من ذلك ان كثيرا من المفسرين واهل البلاغة ان "الاستدراج" اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية التي قيل انها يسميها اهل البيان "الاستدراج"، وانما هي (عموم وخصوص) وفيها لطف العبارة، ودقة المسلك الى ذهن المتلقي، وكسب المشاعر ولا ينفك عن الملاينة[٥].

اقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/٢٤.

فالمشهد الحواري قائم امام النبي (ص). وقد اثر اسلوب السؤال، تمَّ جوابه: المتوقع فانت ترى ان هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير. وهو ما يسميه اهل البلاغة والبيان "الاستدراج".

---

[١] وقال تعالى في الاية/٢٨، من السورة نفسها (هود) " قال يا قوم أرايتم ان كنتم على بينة من ربي وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون" سورة هود/٢٨.

[٢] الكشاف ح٣/٣٠٢.

[٣] ينظر/ الكشاف للزمخشري٣/١٣، البحر المحيط ٥/٢٤٠.

[٤] الحاشية على تفسير البيضاوي ح٤/٤٦.

[٥] روح المعاني ح٥/١١٠.

تدبر قوله تعالى ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ ....**﴾

"وإن" حرف شك وكان على يقين انه على بينه

فكأنه قال: فذروا أني على بينة من ربي

واني نبي على الحقيقة، وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره

فمن يمنعني من عذاب الله

فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير اني اخركم

أي: انسبكم الى الخسران واقول لكم إنكم خاسرون[١].

ومن المواضع القرآنية الكريمة التي وردت (فكرة) "الاستدراج" في سياقها قوله تعالى:

﴿ **فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ البقرة/١٣٧.

يقول ابن الاثير: فاذا حقق النظر في موقع "الاستدراج" – هنا مثلا – علم ان مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائعة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الرقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ عرض المخاطب بها[٢].

نتوقف هنا عند اوجه تفسير هذه الاية: اولها:

ان المعنى: (ان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم).

(هذا أمر لا يفعله مثلك) أي، لا تفعله انت

فالمعنى: فان آمنوا بالذي آمنتم به – وهذا قول (ابن عباس) وقد حكاه (الطبري)[٣] قراءة، ثم اسند اليه انه قال: لا تقولوا : (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به، فانه لا مثيل لله، ولكن قولوا: (فان آمنوا بالذي آمنتم به او بما آمنتم به) قال الفقيه القاضي عبد الحق بن عطيه – رضي الله عنه– وهذا على جهة التفسير، أي: هكذا فليتاول.

وقال ابن الاثير اذا حقق النظر في موقع "الاستدراج" هنا مثلا علم ان مدار البلاغة كلنا عليه لانه لانتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائعة الراقة ولا المعاني اللطيفة الرقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ عرض المخاطب بها[٤].

وأزعم أن من المناسب القول "الاستدراج" (فكرة) تصف علائق النظم وارتباطها ببعضها لتصف نظمها فهي ليست لفظة منفرد ولا جملة موجزة لوصف مصطلح بلاغي، بل هي فكرة تجسد الحالة اللغوية والبلاغية المرتبطة بالمقام اولا وبمقتضى حال ثانيا.

---

[١] ينظر/ الكشاف ٣٠٢/٣.

[٢] ينظر/ المحرر الوجيز ح٤٣١/١.

[٣] ينظر/ تفسير الطبري ح٤٤٣/١.

[٤] ينظر/ المثل السائر ح٦٤/٢.

فلا تقولوا: (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به)، فانه لا مثيل له، ولكن قولوا: (فان آمنوا بالذي آمنتم به او بما آمنتم به).

قال فريق من اللغوين والبلاغيين.

ان الاستدراج، يقع عن طريق سوق المعلوم مساق غيره.

على نحو ما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/٢٤.

وقد توقفنا عند قول النبي (صالح) عليه السلام:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هود/٦٣.

أي اخبروني ان كنت في الحقيقة على "بينة"، أي: حجة ظاهرة وبرهان، وبصيرة "من ربي" مالكي ومتولى امري " وآتاني منه" من، "جهته"، رحمة: نبوة.

وهذه الامور ان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة[١] "الشك"، اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة.

فمن ينصرني من الله، أي : ينجيني من عذابه، والعدول الى الاظهار، لزيادة التهويل.

(فما تزيدونني) اذن باستتباعكم اياي؟ كما ينبئ عنه قولهم " قد كنت فينا مرجوا قبل هذا" أي: لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى "يزيدوه" غير تخسير، أي.

غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او: فما تزيدونني بما تقولون غير ان اتبعكم الى الخسران، واقول لكم: انكم لخاسرون وخلاصة القول هنا أن (الزيادة) على معناه.

ثم تامل قوله تعالى في سورة مريم:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ مريم/٤١ – ٤٥

قال ابن الاثير:[٢]

- ان ابراهيم (عليه السلام) (استدرج اباه) بان طلب منه اولا:

---

[١] ينظر/ تفسير أي السعود ٢٢٢/٤.

[٢] ينظر/ المثل السائر ح٢/ مصطلح الاستدراج ص٨٥٩.

العلة في خطيئته، وقد تضمن ذلك الطلب التنبيه على تماديه موقفا عن غفلته:

- لم يسم اباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق.

لكنه قال: ان معي لطائف من العلم وشيئا منه فاتبعني انجك من ان تضل.

- لم يذكر من جنايتي الشيطان او التي تخص بالله وهي عصيانه واستكباره.
- تخويفه بسوء العاقبة.

لم يصرح ان العقاب لاحق به، ولكنه قال" اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن" – نكر العذاب ملاطفة لابيه.

- صدر كل نصيحة بـ "يا ابت" في اربعة مواضع.

الثاني من مقامات الاستدراج واغراضه البلاغية:

(الترغيب في تحصيل الفعل والاستدراج الى تحصيله)[1].

كما فعل "ابراهيم عليه السلام" بكلام ياخذ بمجامع القلوب في الاستدراج والاذعان والانقياد بالطف العبارات وارشقها[2].

" تكرار النداء" يا ابت التزام متكرر موقع الاب والجد وحذف الياء. ثم الا تستوقف القاري تجاوز لفظ "عذاب" النكرة – الدالة على الدعاء بالقلة.

قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يونس/٣٣.

﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَـبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُـعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ يونس/٣٤.

﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ يونس/٣٥.

﴿ **وَمَا يَـتَّبِعُ أَكْثَـرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّـا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُـغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـئًا إِنَّ اللَّـهَ عَلِيـمٌ بِـمَا يَـفْعَلُونَ** ﴾ يونس/٣٦.

وقد يكون نظم الاستدراج في اكثر من موضع على وفق مقتضيات الحال والمقام بسور من مثله).

﴿ **أَمْ يَـقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُـواْ بِسُـورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَـطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُـمْ صَادِقِينَ** ﴾ يونس/٣٨.

﴿ **بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾ يونس/٣٩.

---

[1] التحرير والتنوير ح٣/٥١.

[2] الطراز، للعلوي ح٢/١٤٩.

فتامل كيف يدل العد التنازلي* على دلالة الاستدراج، فما اعظم منزلة القرآن؟

لنحاول مرة اخرى تدبر نظم الاستدراج في المحاورة وأن نلم بعض شذرات الاعجاز في سياقات الاستدراج

واعلم أن الاستدراج في هذا السياق، يؤثر التفصيل والتدقيق باسلوب لطيف مباغت وامثلته كثيرة ومنها قوله تعالى في سورة الكهف/٣٢-٤٤:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا* لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا* وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا* فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا* أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا* وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا* هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

أي (فضرب الله مثلا للفريقين المشركين وللمؤمنين بمثل رجلين) في قصة (اصحاب الكهف) من عصر اقرب لعلم المخاطبين من عصر اهل الكهف فضرب فعلا للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال احدهما معجبا مؤنقا، وحال الاخر بخلاف ذلك.

فكانت عاقبة صاحب الحال المؤنقة تبابا وخسارة وكانت حال الآخر بجاجا ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والاعجاب والجبروت الى صاحبه من الارزاء وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح[١].

يتصدر مشهد المحاورة هنا – استحضار لمكان المحاورة[٢]، وزمن المحاورة الماضي، ثم بيان لنفسية المتحاورين.

ثم تبدأ المحاورة، بينهما "وكان" لاحدهما ثمر.

فقد جاء الفعل (قال) غير مقترن بـ (فاء) وذلك من شأن حكاية المحاورات الواقعة.

---

* توقفنا عند تلك الاشارة الاعجازية في خاتمة الدراسة، ص٨٩.

[١] ينظر/ التحرير والتنوير ح١٥.

[٢] لم يذكر المفسرون اين كانت الجنتان: ولعلهما كانت بالطائف فان فيه جنات (اهل مكة).

فقال احدهما لصاحبه وهو يحاوره: (أنا اكثر منك مالا واعز لنفسه).

وتكشف صيغة التفضيل، قمة الغرور والاستعلاء والاستكبار.

اذ عدوا ان الافضل عند الناس كثرة المال وبقوة الرجل وشدة باسه.

ودل فعل (المحاورة) على ان صاحبه مد وعظة في الايمان والعمل الصالح مراجعة الكلام بالفخر عليه والتطاول شأن اهل الغطرسة بالنقاص ان يعدلوا عن المجادلة بالتي هي احسن الى اظهار العظمة والكبرياء أي تأتي هو الله ربي أي: اعترف بانه ربي خلافا لك " العزة" ضد الدل وهي كثرة عشيرة الرجل وشي عنه و"الظن" بمعنى الاعتقاد/ تبيد: تهلك.

"أنا" مبتدأ وجملة " هو الله ربي ضمير الشأن وخيره وهي خيره

ومعنى "جعلنا لاحدهما" قدرنا لاحدهما لاسباب ذلك ومعنى "حققناهما"، احطناها.

لان" حف" يتعدى الى مفعول واحد فاذا اريد تعدينه الى فان عدي اليه بالياء.

ومن محاسن الجنات ان تكون محاطة بالاشجار المثمرة.

اما معنى ولم تظلم منه شيئا " لم ننقص منه أي اكلها شيئا".

جملة "وكان له تمر"، التمر: المال الكثير المختلف الانواع من النقدين والانعام والجنات.

ويتصدر الشهد هنا – يذكر لمكان، أي مكان المحاورة [1] التي تفيد الاشارة.

الى " الزمن الماضي" ثم بيان حال المتحاورين "والصاحب": المقارن في الذكر – وهو الرجل الاخر من "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب – الرجلين"، من ليس له جنات في حواره الاول: وهو ظالم لنفسه وقد بدأ الحوار بين من كان له جنة فيها ثمر، وبين "صاحبه" اذ بادر الحوار بالمباهاة، "قال" فعل القول غير مقترن بـ "الفاء" وذلك من حكاية (المحاورة) "فقال لصاحبه وهو يحاوره[2]، انا اكثر منك مالا واعز نفرا" ويبدو ان السياق هنا قد تكرر فانت ترى ان صيغة التفضيل افعل: "اكثر .. واعز.." تدل على قمة الغرور والاستكبار لانهم عدوا ان الافضل عند الناس "كثرة المال"، وشدة بأس الرجل لذلك "... هو ظالم لنفسه" فظن ان هذه الحال وهذه الارض لن تبديد ابدا بمعنى انه انكر وقوع الساعة وان " تبيد الارض".

﴿ **قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَدًا* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾ الكهف/٣٥، لكن صاحبه، قد وعظه وهو يحاوره، وعظه في الايمان والعمل الصالح، توجز الاحداث لنقترب من الخطوة الاخيرة من الحوار: وفيه يتضح الاستدراج اذ يقول: ياليتني لم اشرك بربي احداً.

---

[1] لم يذكر اهل التفسير اين كانت (الجنتان) ولعلهما كانتا بـ "الطائف" فان فيه " جنات اهل مكة.

[2] الكشاف ٥٣١/٢، التحرير والتنوير ٣٢١/١٥ – ٣٢٢.

قد اثر في وقوع "الاستخراج" في فضاء "المحاورة التي تتصدر جملها. (قاله) "يقول" ويبدو ان من جملة فكرة "الاستدراج" اكثر الاساليب قربا للاستدراج، هو اسلوب المحاورة.

ثم تأمل ومضات ذلك الاستدراج.

ثم تختصر كل الاحوال، وتستخلص كل النتائج: (هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا).

وتأتي الخطوة الثانية من هذا "الاستدراج"[1].

(ولولا اذ دخلت جنتك قلت: ما شاء الله لا قوة الا بالله) تحليل لكون تلك الجنة من مشيئة الله لا قوة لي على انشائها، او: لا قوة الا لمن آمن.

ان (ترن) انا اقل منك مالا وولدا – (انا) ضمير منفصل، و"عسى" للرجاء: وهو طالب الامر القريب الحصول ولعله اراد به الدعاء لنفسه وعلى صاحبه.

وتأتي الخطوة التي تحقق نتيجة (الاستدراج)، وروعة نظم الحوار القرآني، وتوجز الاحداث لتصل الى (ويقول: ياليتني لم اشرك بربي احدا).

﴿ **وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا** ﴾ الكهف/٤٣.

﴿ **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا** ﴾ الكهف/٤٤.

كان صاحبه المؤمن رجلا صالحا فحقق الله رجاءه.

تتنوع صفات، وخلاصة القول نكير.

انه ابرز الصفات التي اقترنت سياق الاستدراج، وهي جزء من الاستدراج وليس عنصرا احيانا.

المبحث الثاني: من مواضع الاستدراج في محاورة الانبياء واقوامهم

اولا: قال تعالى في حكاية "نبينا" "صالح عليه السلام.

﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾ هود/٢٨.

قال ابو حيان – في البحر المحيط[2].

هذا موقف وقعت فيه "المحاورة" بين هود – عليه السلام – وقومه.

اذ جاء القول الكريم في وصف دلالة "إن" في قوله تعالى "إن كنت" وكان المتلقي على يقين تام في امره، الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول فكأنه قال: قدروا اني على بينة من ربي واني نبي، على الحقيقة.

---

[1] الكشاف ح٥٣٢/٢، التحرير والتنوير ح٣٢٧/١٥.

[2] البحر المحيط ح٢٤٠/٥.

(وانظروا انـي ان تـابعتكم وعـصيت ربـي فـي اوامـره، فمـن يمنعنـي مـن عـذاب الله او فمـا تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير اني اخسركم، أي اقربكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون)[١].

وقيل إنَّ حرف لشك المتكلم وهو غير شاك في كونه على بينة لكنه من الكلام المنصف[٢].

والعطف هنا لون من (الاستدراج) من باب عطف الكل او (الكلي) على الجزئي او الفرع.

وقد ذكر الالوسي لون من ان الكلام المنصف، ينتمي الى "الاستدراج"[٣].

ومعنى ذلك ان اهل البلاغة القرآنية، ذهبوا الى أن (الاستدراج) اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية، وهي فروع من (البيان) وهي عموم وخصوص، وفيها لطف العبارة ودقة المسلك الى ذهن المتلقي وكسب المشاعر ولا ينفك عن الملاينة، وقد شاع عند هؤلاء البيانيين تسميتها "الاستدراج".

ونجد من المفيد ان نتوقف هنا لنعرض بعض الاشارات التي حاولنا تدبرها في جملة الاستدراج التي تضمنها السياق القرآني:

١- جاء السياق على سبيل العرض لهم وللاقرار بالحق وقيام الحجة على الخصم، اذ ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي** ﴾ هود/٢٨، والبينة: البرهان والشاهد بصحة دعواه[٤].

٢- وصف اهل التفسير، ومنهم ابو السعود العمادي، هذا الموقف في تفسيره ارشاد العقل السليم، اذ ذكر ان "الاستدراج" مستعار لكل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمتنقل الموافقة لهواه.

بحيث يزعم ان ذلك ترق في مرامي منافعه، مع انه في الحقيقة تردد في مهاوى مصارعه[٥].

الامر الاخر، زعم بعض البلاغيين ومنهم (ابن الاثير) أن (الاستدراج) البلاغي هنا وفي اغلب مواضعه هو "مخادعة في الاقوال التي تقوم مقام الافعال".

وتزعم ان الوصف بـ (المخادعة) قد يليق بمقام دون آخر، وقلنا في مواضع سابقه ليس كل استدراج مخداعا بل نعتقد ان ذلك الوصف (أي المخادعة)، غير مريح، وفي اللغة عدة صفات مرادفة لمصطلح (الاستدراج).

---

[١] ينظر/ الكشاف ح٣٠٢/٣، التفسير للرازي ح٣٨٦/١٨.

[٢] تفسير البيضاوي ح٤٦/٤.

[٣] روح المعاني ح١١٠/٥.

[٤] ينظر/ التحرير والتنوير ٥٠/١٢.

[٥] تفسير ابي السعود ٢٩٧/٣.

٣- قلنا كذلك بل ان كثيرا من البلاغيين والمفسرين قد استعملوا مرادفا لمصطلحات اخرى للفظ الاستدراج او قريبا منها مثل: التحريض/الحجاج/المذهب الكلامي/ حسن التعليل/ حسن التقسيم/ الكتابة و(الكلام المنصف).

ويبدو ان القول الفصل هنا انهم وجدوا في "الاستدراج" اسما ولقبا بضم مجموعة من الاساليب اللغوية التي تقترن دلالتها بالملاطفة والملاينة، ودقة الخيط التي يوصل رقة اللفظ ولطف المعنى السالك الى قلب المتلقي ثم عقله.

٤- تأمل وصف الشيخ الجليل واللغوي العظيم (الالوسي) في كتابة (روح المعاني) أن لمجرد الفرض والكلام من الاستدراج وارخاء العناه مع الخصم حيث يراد تبكيته، وهو مما تتراكض فيه خيول المناظرين فلا باس بحمل كلام الله تعالى عليه[١].

ثانيا: قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا** ﴾ البقرة/١٣٧

قال صاحب الكشاف[٢]، في تفسير قوله تعالى:

(بمثل ما آمنتم به): من باب التبكيت[٣].

لان دين الحق واحد لا مثل له، وهو دين الاسلام: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ آل عمران/٨٥.

فلا يوجد اذا دين آخر بمثال دين الاسلام في كونه حقا حتى آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين، فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي.

فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا.

وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مخاير له غير مماثل، لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال.

ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه: (هذا هو الرأي الصواب)، فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به، وقد علمت ان لا اصوب من رأيك.

ولكنك تزيد تبكيت صاحبك، وتوقيفه على ما رأيت لا راي وراءه.

ويجوز ان تكون الباء للاستعانة كقولك وكتبت بالقلم، أي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها.

او: وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان"فسيكفيكهم الله"، ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى عليهم، ومعه السنن، ان ذلك واقع لا محالة وان تاخر "وهو السميع العليم"

---

[١] ينظر/ روح المعاني ح١/٣٩٤.

[٢] ينظر/ الكشاف ح١/١٥٠، البحر المحيط ح٢/٥٣٩.

[٣] البحر المحيط ح١/٥٨٢.

والسين في "فسيكفيكهم الله" وعيد لهم: أي يسمع ما ينطقون به ويضم ما يضمرون من الحسد والغل. وهو مغامرهم عليه بمعنى يسمع ما ينطقون به.

وخلاصة القول انك اذا تأملت التركيب الشرطي في السياق الكريم، قد وصف معنى (الاستدراج) وفي القرآن– مواضع كثيرة – بمثل هذا النظم (الشرط).

أي: بمن يهديه الله

ثالثا: من شواهد الاستدراج في نظم السياق القرآني

قال تعالى:

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ** ﴾ هود/٣٥

قال بعض المفسرين، ان معنى الآية، ان صح ثبت اني افتريته، فعلي عقوبة اجرامي أي: افترائي، وحقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبون على وأنا برئ، أي: لم يثبت ذلك.

ومعنى "مما تجرمون" من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم[١].

ثم انك ترى ان تقديم "علي" في قوله تعالى "فعلي اجرامي" مؤذن بالقصر من اساليب التوكيد.

أي: اجرامي علي لا عليكم، فلماذا تكثرون ادعاء الافتراء.

كأنكم ستؤاخذون ببعتيه وهذا جار على طريقة (الاستدراج) لهم والكلام المنصف[٢].

ومعنى جعل (الافتراء) فعلا للشرط انه ان كان وقع الافتراء كقوله تعالى: (ان كنت فعلته فقد علمته).

ولما كان الافتراء، على الله اجراما عدل في الجواب عن التعبير بـ (الافتراء) مع انه المدعي الى التعبير بالاجرام، فلا حاجة الى تقدير فعلي اجرام افترائي وذكر حرف الجر "على" مع الاجرام مؤاخذ به كما تقتضيه مادة الاجرام والاحرام، اكتساب الجرم وهو الذنب، فهو يقتضي المؤاخذة لا محالة وجملة "وانا برئ، مما تجرمون"، تذييل للكلام وتاييده بمقابلة. والشئ يؤكد بضده، أي: اجرامي علي لا عليكم.

وفي هذه الجملة توجيه بديع وهو افادة تبرئة نفسه من ان يفتري القرآن، فيكون المعنى: وانا برئ من قولكم الذي تجرمونه علي باطلا[٣].

---

[١] الكشاف ح٢/٢٩١.

[٢] التحرير والتنوير ح١٢/٦٤.

[٣] المصدر السابق ح٢/٦٥.

من شواهد الاستدراج في محاورة الانبياء (صلوات الله عليهم)

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ المائدة/١١٦[١].

أي: (سبحانك) من ان يكون لله شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي "ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله (في نفسي) في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومات لكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك، (انك انت علام الغيوب)، تقرير للجملتين معا لان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد[٢].

فقد تضمن السياق الكريم، اسلوب الاستدراج على الطريق التعريضي: (للمخاطب في امر ينكره او يراد تبكيته فيه)[٣]. فان المجني اذ سئل بمحضر الجاني، ونسبت الجناية اليه دون الجاني بعت ذلك الجاني على التفكير في حاله وحال المجني عليه، فيرى براءة مساحته، وانه هو المستحق للعقاب والعذاب، وهذا "**استدراج" على طريق التعريض**، وهو ابلغ من التصريح.

وقد سلك الكلام هنا سلوك طريق توصل الى المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له حتى يبين من صدر عنه ذلك، كما سئل (عيسى) – عليه السلام – دون الكفرة[٤]. وتزعم الاشارة هنا الى ان الاستدراج، في مواضعه فن من البديع، بديع.

وهذا يدفعنا الى تأمل مواضع اخرى من (اسلوب الاستدراج) بخاصة في اساليب خطابات الانبياء – رضي الله عنهم–.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ الجن/١٨.

﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ الجن/١٩.

(... وقيل معناه، ولان المساجد "لله لا يدعوا". على ان "اللام" متعلقة بلا تدعوا.

أي: فلا تدعوا (مع الله احدا) في المساجد، لانها لله خاصة ولعبادته.

وعن الحسن (رض) يعني الارض كلها، لانها جعلت للنبي (ص)، مسجدا.

وقيل: المراد بها " المسجد الحرام".

"عبد الله" هو النبي (ص) فان قلت : هلا قيل (رسول الله) او "النبي"؟

قلت: لان تقديره: (واوحي الي انه لما قام عبد الله) فلما كان واقعا في كلام رسول الله (ص) عن نفسه، جئ به على ما يقتضيه التواضع.

---

[١] ابن الاثير ح٦/٢.

[٢] ينظر الكشاف ح٥٣٢/١.

[٣] ينظر الكشاف ح٥٣٢/١، ٥٣٣، البحر المحيط ح٦٣/٤، تفسير البيضاوي ح٢٢٦/٨.

[٤] تفسير البيضاوي ح٣٢٦/٨.

(وكادوا يكونون عليه لبدا، أي: يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا ممن عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن ما لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره)[1].

فانت ترى ان الاية الكريمة تخاطب الجمع بخصوص مواضع العبادة، وهي (المساجد) فهي لعبادة الله وحدة لا شريك له.

ويبدو انها قد أثرت اسلوب الاستدراج الذي يمكن ان تسميه (الضمني) أو (الخفي) فقد عرف (عبد الله) بذاته النبوية الكريمة، ثم التمسك بالله وحدة لا شريك له (قل إنما ادعو ربي ولا اشرك به احدا).

أي: قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم اما (الجن)، واما المشركون – على اختلاف القولين في ضمير " كادوا".

ثم أمره تعالى ان يقول لهم ما يدل على تبرئه من القدرة على ايصال خير او شر اليهم وجعل (الضر) مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي، اذ "الغي" ثمرته الضر[2].

يقول (ابو السعود العمادي).

قوله تعالى: قل انما ادعوا أي: اعبد "ربي ولا اشرك له" بربي في العبادة " احدا".

كأنه اريد لا املك لكم ضرا او نفعا ولا غنى ولا رشدا.

ثم كان اسلوب الاستدراج يطوي الدلالة على خطاب المشركين بانها الفرصة الاخيرة على التوبة.

﴿ **حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ..... وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ الجن/٢٤–٢٨.

مخاطبات الانبياء ومحاورات اقوامهم:

شواهد اخرى في مخاطبات الانبياء:

الموضع الاول: قال تعالى في سورة (هود)

﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾ هود/٢٨

ومثله قوله تعالى في سورة (هود) ايضا: ٦٣

الموضع الثاني: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ** ﴾ هود/٦٣.

---

[1] ينظر/ الكشاف ح٣٠٢/٣، التفسير للرازي ح٣٨٦/١٨.

[2] البحر المحيط ح٣٤٦/٨، ٣٤٧.

أي: اذا كان ذلك فما دعاؤكم اياي الا سعي في خسران، أي: فما يحدث لي ان اتبعتكم وعصيت الله الا الخسران.

فما تزيدونني غير تخسير.

وفي الموضعين جاء السياق على سبيل العرض لهم والاستدراج للاقرار بالحق.

وقيام الحجة على الخصم

ولو قال (على اني على حق* من ربي) لقالوا له: كذبت كقوله (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله). غافر/٢٨.

فقال فيه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) غافر/٢٨.

والبينة: البرهان والشاهد بصحة دعواه[١].

وقال صاحب تفسير ارشاد العقل السليم:[٢]

أن "الاستدراج" مستعار لكل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمتنقل الموافقة لهواه.

بحيث يزعم ان ذلك ترق في مرامي منافعه مع انه في الحقيقة ترد في مهاوي مصارعه.

اما ابن الاثير، فقد ذكر امرين لابد ان تتوقف عندها:

الامر الاول: (انه ادعى انه اول من استخرجه من (القرآن الكريم)، ولم يسبقه احد الى استخراجه) وهو ادعاء لم يعترض عليه احد ممن جاء بعده.

الامر الثاني: ان "ابن الاثير" جعل (الاستدراج) البلاغي، مخادعة في الاقوال التي تقوم مقام مخادعة الافعال.

ولعل الوصف بـ "المخادعة" يليق بمقام دون آخر.

وذلك حينما يقع "الاستدراج" بسبيل المجازاة بـ "المثل".

أي: المشاكلة: الخداع بالخداع فيكون على نحو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ النساء/١٤٢.

ومن اهل البلاغة من يرى ان تسمية "الاستدراج" خداع – كما اخلفه (ابن الاثير) غير مناسبة ولا دقيقة لانه ليس كل استدراج، خداعا[٣].

فقد تستدرج احدا لمعنى او هدى صالح تريد له من غير ان تخادعه[٤]

---

[١] البحر المحيط ح٥/٢١٦.

[٢] المصدر السابق.

[٣] تفسير ابي السعود ح٣/٢٩٧.

[٤] المثل السائر ح٢/٢٠٥.

في ذلك (الاستدراج) لكنك متأت له من احسن ابواب التلطف الكلامي البليغ[1].

او ان كثيرا من البلاغيين والمفسرين قد استعملوا مرادفا لمصطلحات اخرى للفظ الاستدراج، او قريبا منها مثل:

التحريض/ الحجاج/ المذهب الكلامي/ حسن التعليل/ حسن التقسيم/ الكناية الكلام المنصف.

ويبدو انهم وجدوا في "الاستدراج" اسما ولقبا يضم مجموعة من الاساليب البلاغية التي تقترن دلالتها بالملاطفة والملاينة، ودقة الخيط التي يوصل رقة اللفظ ولطف المعنى السالك الى قلب المتلقي ثم عقله[2].

تأمل قوله تعالى:

﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾ يونس/٣١.

اولا: فمن اغراض هذه الافانين، ابطال الشرك واثبات توحد الله تعالى بالالهية.

فلقد سلك (الاستدراج)، مسلك الخطوات المتتابعة والمنوالية لبيان استحقاق البرهان على انه – هو الله – المستحق للولاية، وقد ناسب الغرض الاستفهام التقريري على طريقة السؤال والجواب، لان ذلك في صورة (الحوار) فيكون الدليل الحاصل به اوقع في نفوس السامعين واقتضي الاحتجاج بمواهب الرزق، الاستدراج، كذلك موهبة الحواس ونظام التناسل والتوالد للبقاء على الانواع – فهل وغيرها مواهب من الله، وهم كانوا يعلمون أن جميع ما ذكر لا يفعله الا الله – اذ لم يكونوا ينسبوا الى اصنامهم هذه الامور.

- فلا جرم ان كان المختص بما هو مستحق الولاية والالهية.

ثانيا: تأمل بلاغة كل لفظة ومناسبتها في النظم القرآن.

وقوله من السماء والارض، تنكير بتنوع احوال الرزق، وليكون اقوى خطورا.

و "ام" في قوله تعالى " ام من يملك السمع" للاضراب الانتقالي من استفهام الى آخر وقد افرد السمع لانه مصدر دال على الجنس في جميع احوال الناس.

وجاء (الابصار) جمعا لانه اسم فيه الدلالة على قصد العموم.

وابعد في الدلالة " ومن يخرج الحي من الميت"، وما يقابله " ويخرج الميت من الحي" وقوله تعالى: "ومن يدبر الامر" تعميم بعد تخصيص.

---

[1] ينظر/ مجلة كلية اللغة العربية – للاستاذ المشارك ومحمد بن عبد الرحمن الخراز عدد ٢٠١٠– ص٨٤١ – ٨٤٢.

[2] وقد وصف الالوسي في كتابه (روح المعاني) باسلوب غاية في البلاغة اذ يقول (لمجرد الفرض والكلام من باب (الاستدراج).

ثالثا: "فسيقولون الله" : (الفاء) سببية والفعل "قل": نزل منزلة الشرط فكأنه قيل:

(ان تقل من يرزقكم من السماء والارض فسيقولون الله).

والتقدير التركيب هنا: "ان تقل لهم اقيموا الصلاة يقيموا وان تقل لهم قولوا التي هي احسن يقولوا"[1]. "فذلكم" اشارة الى من هذه قدرته وافعاله.

"ربكم الحق" الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقن النظر. "فماذا بعد الحق الا الضلال يعني أن "الحق" والضلال، ولا واسطة بينهما، فمن تخطى الحق وقع في الضلال[2].

واختتم التركيب بقوله تعالى: "فقل افلا تتقون": جاء بالعموم بعد الخصوص.

فـ (الفاء)، فاء النصيحة، أي: ان "افلا تتقون".

(الفاء) في قوله تعالى "افلا"، (فاء) التفريع: أي يتفرع على اعترافكم بانه، (الفاعل الواحد) انكار عدم التقوى عليكم.

والمفعول "تتقون" محذوف تقديره: تتبعونه، أي بتنزيهه عن الشرك، أي: "افلا تتقون" افلا تتقون الهتكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال "فذلكم" ويصل اسلوب "الاستدراج" الى قيمته[3].

يقول اهل التفسير: انما اخبر الله عنهم انهم سيعترفون بان الرازق والخالق والمدبر هو (الله) لانهم لم يكونوا يعتقدون غير ذلك.

كما تكرر الاخبار بتلك عنهم في كثير من آيات من القرآن.

وفيه تحد لهم فانهم لو استطاعوا لا نكروا ان يكون ما نسب اليهم صحيحا، ولكن خوفهم جاء الحذف صرفهم عن ذلك، فلذلك قامت عليهم الحجة بقوله تعالى (افلا تتقون).

وتتجسد اركان الاستدراج في سياق الاية (٣٩-٤٠) من سورة يوسف ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ** ..... ﴾ اذ يتصدر الاية بالنداء "على" تقدير حرف الظرفية، أي يا صاحبي في السجن وكأنه ثم اراد بالكلام الذي كلمهما به تقريرهما بابطال دينهما.

ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحالين:

فسلك اسلوب الاستدراج – كما ترى – ليصل بذلك الى اقناعهما بادخال المنفرد بالالهية، اعظم واغنى، فيرجعان عن اعتقاء تعدد الالهة.

وليس المراد من هذا الاستدلال وجود الحالين في الالهية، والمفاضلة بين اصحاب هذين الحالين لان (المخاطبين) لا يؤمنون بوجود الالة الواحد، فقصد اسلوب الاستدراج، اذ قال تعالى:

---

[1] ينظر/ التحرير والتنوير ح١٥٧/ح٩٩.

[2] الكشاف ح٢٥٧/٢.

[3] ابن كثير ح٥٧/٢.

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ يوسف/ ٣٩-٤٠.

فانت ترى ان لفظة (خير) قد وضعت التقابل بين المشتركات.

ويجوز ان يكون (خير) مستعملا في معنى (الخبر) عند العقل، أي الرجحان والقبول معنى اعتقاد وجود ارباب متفرقين ارجح ام اعتقاد تعدد الالهة.

اذ يتبين لهما أن اربابا متفرقين لا يخلوها لهم هن تطرق الفساد والخلل في فهم.

بقوله تعالى " أأرباب متفرقون" ويقول ان تكون لكما أرباب شتى يستعبد كما هذا ويستعبدها هذا " خير" لكما أم ان يكون لكما رب واحد واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو "القهار" الغالب، وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده لعبادة "الاصنام".

آلهة، تصنعونها ثم طففتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات لكنها[1].

وبعد ان عرض السياق "دلالة" الشك في صحبة آلهتكم المتعددين انتقل الى ابطال وجود تلك آلالهة على الحقيقة بقوله:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف/٤٠.

يعني: أن تلك ألالهة لا تحقق الوجود الخارجي بل هي توهمات تخيلوها.

اما قوله تعالى: ﴿ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ يوسف/٤٠.

فيبدو للمتأمل انتقال بالاستدراج من رتبة أدلة اثبات انفراد الله تعالى بالالهية الى رتبة التعليم بامتثال امره ونهيه.

لان ذلك نتيجة لاثبات الالهية الوجدانية له، فهو بيان لجملة: (ان الحكم الا لله) من حيث ما فيها من معنى الحكم.

اما قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم/٣٠.

فهو خلاصة لما تقدم من الاستدلال على دقة الاستدراج[2].

أي: ذلك الدين لا غيره مما انتم عليه وغيركم.

وهو بمنزلة رد العجز على الصدر لقوله اني تركت ملة لا يؤمنون بالله الى قوله تعالى (لا ينكرون).

---

[1] ينظر/ الكشاف ح٣٤٧/٢.

[2] التحرير والتنوير ح٢٧٤/١٢.

واعلم ان من اغراض الاستدراج:

١- لقد كثر مجئ هذا النمط في تراكيب المحاورة في السياق القرآني الكريم.

٣- وفرة اسلوب الاحتجاج.

٤- ظاهرة (التقابل) في التركيب (العضوي في ظاهرة الاستدراج).

كما اشرنا الى ذلك في عدة مواضع ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا** ﴾ الكهف/٣٢.

ومن امثله تلك المحاولات القرآنية، ما ذكره الكتاب العزيز " من قصة " ابراهيم، عليه السلام مع قومه.

﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ الانعام/٨٠.

واذا امعنت النظر في التدرج اللغوي للتعريف بالهه الحق المبين حيث لا الكواكب ولا القمر ولا الشمس – يستحق ان يكون معبوده، ولكن منا يأفل او يغيب او ينكسف، فليس سوى اله واحد: تعالى وحده يستحق العبادة دونما ما سواه[1].

فكأن السياق الكريم أثر عدم التصريح، لاكثر من سبب اولها.

ليس كل مقام يحسن فيه ذلك (التصريح).

ولو اختار التصريح اولاً، وصرح بالدعوى لم يقبلوا قوله.

وتبدأ الحكاية من التأمل في كواكب السماء ولما يبصرهم قصور صغير، رمي النظر الى اكبر منه، فسبب عن الاعراض عن الكواكب لقصور قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا** ﴾ الانعام/٧٧، أي طالعا او طلوعه، بنوره مشق الظلمة مشقا بـ "قال هذا ربي" رايه في الاولى.

ولما تأمل أفل الكوكب، قال: ﴿ **لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي** ﴾ الانعام/٧٧: الذي قدر على الاحسان الي، بالايجاد والتربية لكونه أي الله الخالق المبدع – لا يتغير، ولا شريك له بخلق الهداية في قلبي فدل على ان الهداية ليست الى غيره، و"لأكونَن" – بعبادة غيره "من القوم الظالمين".

وتلك **الاشارة الاولى:**

الاشد، والاقرب الى التصريح بنفي الربوبية من الكواكب، واثبات ان الرب غيرها.

مع الملاطفة، وابعاد الخصم عما يوجب عناده.

الاشارة الثانية:

لما كانت القلوب قد فزعت من الكلام المحجب للحجة.

وتهيات لقبول الحق ختم الاية بقوله (اني برئ مما تشركون).

---

[1] ينظر/ مصطلح الاستدراج ص٨٤٩.

أي: من هذا وغيره من باب الاولى.

الاشارة الثالثة:

(ذكر بعض المفسرين ان فيه): مالا يخفى من دلالة (الانكار) عليهم و(التوبيخ) لهم، وهذا ما دل عليه[1]، قوله تعالى: ﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ الانعام/٨٠.

الاشارة الرابعة:

في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ الانعام/٨٠، (وحاجه قومه قال اتحاجون في الله): وكانوا قد حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك "وقد هداني" يعني الى التوحيد "ولا اخاف ما تشركون به" يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط، لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا ان يشاء ربي على أن يصيبني به خوف من جهتها ان اصبت ذنبا، استوجب به انزال المكروه يجعلها قادرة على مضرتي "وسع ربي كل شئ علما" أي: ليس بعجب الا مستبعد ان يكون في علمه انزال الخوف ربي من جهتها (افلا تتذكرون) فيميزوا بين الصحيح والفاسد، والقادر والعاجز.

كأنه قال: وما لكم تنكرون على الامن ولا تنكرون على انفسكم الامر في موضع الخوف[2].

الاشارة الخامسة: وخلاصة القول٠ يحتمل ان يكون العدل الى ذلك ليعم بالامن كل موحد، وبالخوف كل مشرك.

ويتدرج هو في حكم الموجدين وقومه في حكم المشركين واحسن الجواب ما افاء وناد[3].

وتقرأ تلك المحاورة المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن اثبات التوحيد وابطال الشرك، وحفيت تلك الحجج بشاهد من احوال الابدي بذكر (مجادلة) اول رسول اعلن التوحيد، وناظر في ابطال الشرك بالحجة الدامغة والمناظرة الساطعة، لانها اعدل حجة في مسيرة الدين، اذ كانت مجادلة (رسول) لابيه ولقومه.

وكانت اكبر حجة على المشركين من العرب بأن اباهم لم يكن مشركا ولا مقرا للشرك في قومه.

واعظم حجة الرسول (ص)، اذ جاء بالاقلاع عن الشرك والاستفهام في قوله: (اتتخذ اصناما آلهة) استفهام انكاري وتوبيخ.

والظاهر ان ذلك القول يحكي موقفا من مواقف "ابراهيم" عليه السلام مع ابيه، وهو موقف غلظة، وقد اظهر ابوه تصلبا في الشرك.

---

[1] نظم الدرر ح٢/٦٥٢.

[2] الكشاف ح٢/٣٣.

[3] ينظر هامش الكشاف ح٣/٣٣.

والاتخاذ في قوله تتخذ افتعال تذل صيغته على "افتعال" على التكلف للمبالغة في تحصيل الفعل، "تتخذ" هنا يصطفي ويختار، والمراد تعبد اصناما وكأن المعنى عند اهل البلاغة "تعريض" بسخافة عقله ان يجعل الهة شيئا هو صنعه وان مفعول " تتخذ" متعد الى مفعول به واحد، ومحل الانكار هو المفعول به ومن حكاية كلام "ابراهيم" عليه السلام – لابيه انه انكر عليه شيئين.

احدهما: جعله الصور آلهة مع أنها ظاهرة الانحطاط عن صفة الالهية.

وجملة (اني اراك وقومك في ضلال مبين) مبينة للانكار في جملة أبيه ﴿ **آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً** ﴾ الانعام/٧٤، واكد الاخبار بحرف التوكيد " ان" لما يتضمنه ذلك الاخبار من كون ضلالهم بينا وذلك مما ينكره المخاطب، لان المخاطب لما لم يكن قد سمع الانكار عليه من اعتقاده قبل ذلك يجعل نفسه على هدى ولا يحسب ان احدا ينكره عليه ما هو فيه.

واعلم ان قول "ابراهيم" لما رأى النيرات (هذا ربي) هو مناظرة لقومه واستدراج لهم وانه كان موقنا بنفي الهيتها وهو المناسب لصفة النبوة ان يكون اوحي اليه ببطلان الاشراك وبالحجج التي احتج بها على قومه وقد اشار الشيخ، (الطاهرين عاشور رحمه الله) – الى، (ان كلامه ذلك كان نظرا واستدلالا في نفسه لقوله ﴿ **لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي** ﴾ فانه يشعر بانه في ضلال لانه طلب هداية بصيغة الاستقبال أي: لاجل اداة الشرط، وليس هنا بمتعين لانه قد يقوله لتنبيه قومه الى ان لهم بيده الهداية، فيكون كلامه مستعملا في (التعريض) على انه قد يكون ايضا مرادا به على الهداية والزيادة فيها على انه قد يكون اراد الهداية الى اقامة الحجة حتى لا يتغلب عليه قومه[1].

الاستدراج من الحكم باتجاه ارادة (الشر) فقط ام يمكن ان يقع بقصد الخير كذلك.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ الانبياء/٣٤-٣٥.

قال صاحب "الكشاف"

كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله ان لا يخلد في الدنيا من البشر، فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك، فان مت انت ايبقى هؤلاء؟

و"يبلوكم" أي: نخيركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، والينا مرجعكم فسنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى "ابتلاء"، وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم، لانه في صورة الاختيار، فتنة مصدر مؤكد "نبلوكم" من غير لفظة[2].

---

[1] التحرير والتنوير ح٧/٧٢٦.

[2] الكشاف ح٣/٨٧.

وقال (ابو حيان)، هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله الهة، ودلالة على تنزيهه عن الشريك، وتوكيدا لما تقدم من ادلة التوحيد، ورد على عبده الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه المخلفات المتصرف فيها التصرف العجيب، كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع (الرؤية) هنا من رؤية القلب – قدم (الشر) على الخير لان الابتلاء به اكثر ولان العرب تقدم (الاقل) و(الاردأ)، ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ فاطر/٣٢.

وعن (ابن عباس) (رض):

الخير والشر هنا عام في الغنى والفقر، والصحة والمرض والطاعة، والمعصية، والهدى والضلال.

ونقل عن ابن عطية قوله: هذان الاخيران ليسا داخلين في هذا، لان من هدى فليس هداه اختيارا، ولا من اطاع بل قد تبين خيره.

والظاهر – كما يقول – (ابو حيان) أن المراد من الخير والشر هنا،

كل ما صح ان يكون فتنة وابتلاء، وعن (ابن عباس) ايضا (بالشدة والرخاء) "اتصبرون" على الشدة، وتشكرون على الرخاء ام لا.

وقيل: (المحبوب)، و(المكروه).

"والينا ترجعون" فنجازيكم على ما صدر منكم في حالة الابتلاء من (الصبر) والشكر، في غير الابتلاء[1].

ولعلك تشاركني في القناعة ان (الاستدراج) قد يتجه بقصد دلالة الخير، او يكون يقصد به الكشف عن ارادة الشر، وخير قرينه تفصح عن ذلك الاتجاه، وهو "السياق".

﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ* وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ* قُل لّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ* قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ سبأ/٢٢-٢٧.

من اكثر المصطلحات البلاغية عموما وشمولا (الاستدراج).

---

[1] البحر المحيط ح٦/٢٨٩.

ولكنَّ كثيراً من البلاغيين والمفسرين استعمله مرادفا لمصطلحات اخرى ذكرناها اكثر من مرة.

(التعريف) و(الحجاج) و(المذهب الكلامي) و(حسن التقسيم الكناية) و(الكلام المنصف).

قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ** ﴾ هود/٦٣.

يقول (الشهاب الخفاجي في سياق تفسير قوله تعالى).

وقد تكرر القول، (إنْ): حرف الشك، واصل وضعها انها لشك المتكلم، وهو غير شاك في كونه على بينة لكنه من (الكلام المنصف والاستدراج)[١].

وتابعه "الالوسي" في مرادفة (الكلام المنصف) لـ "الاستدراج"[٢].

ولعل، ومن المفيد القول انهم رأوا "الاستدراج" اسما ولقبا لمجموعة من الاساليب البلاغية التي يجمعها.

لطف العبارة، ودقة المسلك الى قلب السامع وعقله.

وفي السياق نفسه تقرأ قوله عز وجل: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ سبأ/٢٤.

هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من: استعمال الانصاف في محايد على سبيبل الفرض والتقدير، ويسميه اهل البيان "الاستدراج".

واعلم ان الاستدراج: يقوم على الملاطفة ولا ينفك عن الملاينة – كما وصفه علماء البلاغة.

المبحث الثالث: الاستدراج من اساليب الكلام البليغ

حسن التقسيم الاستدراجي، الظاهر في أي شاهد له يتضمن احتجاجا لطبقا مثل قول الحق سبحانه: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ غافر/٢٨. ونتوقف هنا مرة اخرى عند احدى الاشارات البليغة التي عرضها كلام (العلوي) في[٣] تفصيل الاية القول المبين.

---

[١] ينظر/ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ح٤/٤٦.

[٢] ينظر/ روح المعاني ح٥/٧٠.

[٣] الطراز ح٢/١٤٨.

اذ تضمنت الاية الكريمة الاحتجاج عليهم على جهة التقسيم، فقال: ليس يخلوا حالة اما ان يكون كاذبا فضرر كذبه يعود عليه وانتم خالصون عنه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم لقتله.

فهنا تحقق شرطا الاستدراج: (الاقناع) و(اللطف فيه)[1].

عقب الزمخشري[2] (قوله: تعالى: بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتمها، ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة (للتقسيم).

فقال: لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا.

(وان يك كذباً فعليه كذبه): أي، يعود عليه كذبه ولا يتخطأه ضرره.

(وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم).

ليخصمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقا وافيا فضلا ان يتعصب له.

وتقديم (الكاذب) على (الصادق) ايضا من هذا القبيل:

هذا نوع من انواع علم (البيان) يسميه علماؤنا (استدراج) المخاطب، وذلك ان لما رأى فرعون قد عزم على قتل "موسى" عليه السلام، والقوم على تكذيبه، اراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها انه متعصب له وانه من اتباعه فجاءه من طريق النصح والملاطفة وهو اسلوب (الاستدراج)، قال تعالى: (اتقتلون رجلا يقول ربي الله)، ولم يذكر اسمه بل قال (رجلا)، ليوهم انه لا يعرفه، ولا يتعصب له ان يقول ربي الله، ولم يقل (رجلا مؤمنا بالله) او هي نبي الله، اذ لو قال شيئا منه لعلموا انه متعصب ولم يقبلوا قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك، فقدم قوله (وان يك كاذبا) موافقة لرأيهم فيه، ثم تلاه بقوله (وان يك صادقا)، ولو قال: (هو صادق، وكل ما يعدكم).

لعلموا انه متعصب، وانه يزعم انه نبي وانه صادق، فان الانبياء لا تحل بشئ مما يقولونه.

ثم اتبعه انه ليس بمصدق وهو قوله تعالى (ان الله لا يهدي من مسرف كذاب).

ثم قال (يا قوم)، نداء متلطف في موعظته.

"لكم الملك اليوم ظاهرين" أي: عالين في الارض، أي في ارض مصر قد غلبتم بني اسرائيل فيها وقهرتموهم واستعبتموهم[3].

وقد نبه "ابن الاثير" على ان:

ان الكلام وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمن من النكت الدقيقة في (استدراج) الخصم الى الاذعان والتسليم.

---

[1] ينظر/ روح المعاني ح/٩.

[2] الكشاف ح١٢٣/٤.

[3] ينظر/ البحر المحيط ح٤٤٣/٧، المثل السائر ح٦٤/٢، ٦٥.

وهنا يخطر في الذهن السؤال الاتي:

هل يعد "الاستدراج" منظومة متكاملة وتركيبه ممكثفة من الاختبارات اللفظية والصيغ البنائية التي تتواشج في النص لتنسجم في اثرها المعنوي وتتجانس مع المعنى في حق المخاطب، وتستدرجه ليذعن ان كان معارضا او يتقبل، ويتخفر ان كان موافقا؟

﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ الزمر/٣٨.

﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ* قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ الزمر/٣٨-٣٩.

فاذا انعمت النظر لتبين لك اللطف في رقي درجات ذلك (الاستدراج)، وليونة اسلوبه، يقول الزمخشري، فان قلت: لم فرض المسالة في نفسه دونهم؟ قلت: لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها، فامر ان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده.

ثم يقول لهم بعد التقرير: فاذا ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازم، او برحمة، من صحة او غنى او نحوهما.

هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن عنى ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم الحجر وتطعمهم حتى لا يحيروا بينت شفه، قال (حسبي الله) كافيا لمعرفة اوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون).

ثم قال عز وجل، كاشفات و(ممسكات) على التانيث بعد قال تعالى: ﴿ **وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ** ﴾ الزمر/٣٦، قلت: انفسهن وكن اناثا، وهو (اللات) و(العزى) و(مناة).

ثم قال تعالى:

﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى** ﴾ النجم ١٩-٢١.

ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة، كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال: الاناث اللاتي هن، اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز فتأمل اسلوب الرقة واللين ومراعاة دلالة (الهتكم)[١].

يقول ابو حيان انث تحقيرا لها – أي لالهة المشركين – وتعجيزا وتضعيفا –

ولما تقرر انه تعالى كافية وان اصنامهم لا تضر ولا تنفع، امره تعالى انه يعلم انه تعالى هو حسبه أي (كافية)[٢].

---

[١] ينظر الكشاف ٣١٨/٤.

[٢] البحر المحيط ح٤١٣/٧.

ويبدو ان اسلوب (الاستدراج) آثر الحذف في نظمه، والتقدير: فانهم سيقولون لا تقدر على شئ من ذلك، أي استخبرهم، بمعنى (لا نزاع في انهم يعترفون) بان (الله) هو المتصرف في عظائم الامور، أي: خلقهما وما تحريانه.

اللطف والحجة في (نظم) الاستدراج القرآني:

﴿ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ غافر/٤٣.

ومعنى (لا جرم) لا رد لما دعوه اليه، و(جرم)، فعل ماضي لمعنى (حق)

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ* وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ* وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ* قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ* إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ غافر/٤٤-٥١.

أي: حق ووجب عدم دعوة الهتكم اصلا[١] او عدم دعوة مستجابة دعوة لها

أي: من اعاد نداءهم وعطفت حكايته بـ (واو) العطف للاشارة الى ان نداءه احتمل على ما يقتضي في لغتهم، ان الكلام قد تخطى من عرض الى عرض وانه سيطرق ما يغاير اول كلامه مغايره ما تشبه مغايرة المتعاطفين في لغة العرب، وانه سيرتقي ما سندراجهم في درج الاستدلال الى المقصود بعد المقدمات فانتقل هنا الى ان انكر عليهم شيئا جرى منهم نحوه، وهو انهم اعقبوا موعظته اياهم بدعوته للاقلاع عن ذلك.

وان يتمسك بدينهم، وهذا مشئ مطوي في خلال القصة، دلت عليه حكاية انكاره عليهم، وهو كلام ليس من استجابتهم لقوله فيه.

(فستذكرون ما اقول لكم).

ومتوقع اذاهم لقوله تعالى (وافوض امرى الى الله).

ولقوله تعالى آخر القصة: (فوقاه الله سيئات ما مكروا).

فصرح هنا وبين بانه لم يزل يدعوهم الى اتباع ما جاء به موسى.

وفي اتباعه النجاة من عذاب الاخرة فهو يدعوهم الى النجاة حقيقة على ما يدعوهم اليه بمجاز مرسل، بل يدعوهم الى حقيقة النجاة بوسائط.

ويرى صاحب الكشاف، ان "جرم" فعل بمعنى "حق" أي[٢].

---

[١] ينظر/ المصدر السابق ح١٥٢/٢٤.

[٢] ينظر الكشاف ١٢٨/٤.

حق ووجب بطلان دعوته، او بمعنى: كسب، أي: كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى من ذلك الا ظهور بطلان دعوته.

بمعنى: لا جرم ان لهم النار، أي: لا قطع لذلك.

أي: انهم ابدا يستحقون النار.

ويلخص الزمخشري فكرة "الاستدراج" التي تضمنها السياق- هنا -

معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الاخرة.

او دعوة مستجابة، جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها ولا دعوة.

او سميت (الاستجابة) باسم (الدعوة) كما سمي الفعل المجازي عليه باسم (الجزاء) في قولهم: (كما تدين تدان).

وختمت الاية بقوله تعالى: (وافوض امري الى الله)[1] لانهم توعدوه.

(يا قوم) نداء لتقرب من غلظة ولو بالمشركين.

فقد اعاد نداءهم وعطفت متابعة. ﴿ **قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ* إِنَّا لَنَصرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ غافر/٥٠-٥١.

بواو (العطف) للاشارة الى ان نداءه اشتمل على ما يقتضى في لغتهم ان الكلام قد تخطى من غرض الى غرض.

بدأ - **اولا:** بجملة اسمية، وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم (ما لي ادعوكم الى النجاة).

ثانيا: ختم ايضا بجملة اسمية - ايضا ابلغ في توكيد الاخبار.

ثالثا: جاء في حقهم (وتدعونني) بالجملة الفعلية التي لا تقتضي توكيدا، اذ دعوتهما باطلة لا ثبوت لها فتؤكد.

رابعا: قوله تعالى (ما ليس له علم) هي: الاوثان، أي : لم يتعلق به علمي، اذ ليس مدخل في الالوهية ولا لفرعون.

خامسا: أي " ليس له دعوة" : قدر وحق يجب ان يدعى اليه، او ليس له دعوة الى نفسه، لان الجماد لا يدعو والمعبود بالحق يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها، اظهار دعوة ربهم.

والمعنى: ليس له استجابة دعوة توجب الالوهية (في الدنيا ولا في الآخرة).

---

[1] الكشاف ١٢٨-١٢٩.

او دعوة مستجابة، جعلت الدعوة التي لا استجابة لها، ولا منفعة كلا دعوة، او سميت الاستجابة باسم الدعوة – كما سمي الفعل المجازي عليه باسم الجزاء في قوله (كما تدين تدان).

وكان (فرعون) اولا يدعو الناس الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر – وكانت تعبد ما دامت شابه فاذا هزلت امر بذبحها ودعا باخرى لنعبد فلما طال عليه الزمان قال ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ النازعات/٢٤.

سادسا: النتيجة لما ذكر انتفاء دعوة ما عبد من دون الله، وذكر ان مرد الجميع الى الله أي، الى جرائه.

سابعا: الخاتمة، ختم المؤمن من كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتهديد، يحق ان نعهدها من اساليب (الاستدراج) بلطفه وحجته وهي في قوله تعالى (فستذكرون ما اقول لكم) أي: اذا حل بكم عقاب الله (وافوض امري الي) قضاء الله وقدره لا اليكم ولا الى اصنامكم، وكانوا قد يدعون من ذكر ما يوجب التفويض: الى غرض، وانه سيطرق ما يغاير اول كلامه مغايرة ما تشبه مغايرة المتخاطب في لغة العرب وانه سيرتقي باستدراجهم في درج الاستدلال الى المقصود بعد المقامات فانتقل هنا الى ان انكر عليهم شيئا جرى منهم نحوه وهو انهم اعقبوا موعظته اياهم بدعوته للاقلاع عن ذلك.

وان يتمسك بدينهم وهذا شئ مطوى في خلال القصة، دلت عليه حكاية انكاره عليهم وهو كلام آيس من استجابتهم لقوله فيه (فستذكرون ما اقول لكم).

ومتوقع أذا هم لقوله (وافوض امري الله، لقوله تعالى آخر القصة) فوقاه الله سيئات ما مكروا).

فصرح هنا وبين بانه لم يزل يدعوهم الى اتباع ما جاء به موسى.

وفي اتباعه النجاة من عذاب الآخرة، فهو يدعوهم الى النجاة حقيقة، أي: يدعوهم الى حقيقة النجاة بوسائط[١].

وهي كونه تعالى "بصيرا" باحوال العباد وبمقادير حاجاتهم[٢].

تأمل قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ الانبياء/١٠.

﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ* فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ* لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ* فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** ﴾ الانبياء/١١-١٥.

---

[١] ينظر/ التحرير والتنوير ح١٥٢/٢٤.

[٢] ينظر/ البحر المحيط ح٤٤٧/٧.

واقرأ قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ الرعد/٣٣: فهو احتجاج من باب الاستدراج لبعثهم على التفكير.

واعلم أن حسن التعليل: فرد من عائلة (الاستدراج) بشرط ان يقصد من (حسن التعليل) تقريب المخاطب واستدناءه بعد نفور وتجافي عنه.

قال ابن الاثير عن (الاستدراج) (واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه، لانه لانتفاع بايراد الالفاظ والمليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها)[١].

ويفهم من قول ابن الاثير ان (الاستدراج) مرادف لدلالة مصطلح (البلاغة).

وازعم ان في هذا التعريف مضافا عظيما يستحقه (الاستدراج)، فكان يرفع عنه قصدا يربطه الى احد فروع فنون البديع، والتي لم يتفق على عددها اهل البديع.

وخلاصة الرأي: أن (الاستدراج) يتصف بالشمولية والعموم وان فيه وحياً من معاني:

(التعريض) و(حسن التعليل) (المذهب الكلامي) (تجاهل العارف) و(حسن التقسيم والكتابة) وغيرها[٢].

بل هو (البلاغة) بمفهومها ودلالتها على شمولية البلاغة في فنون القول.

"كما تراه في الاستدراج عن طريق" سوق المعلوم مساق غيره على نحو ما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ سبأ/٢٤.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة فن الاستدراج، ولا سيما في مخاطبات (الانبياء) صلوات الله عليهم في الكشف عن حقد الكفار، والرد عليهم[٣].

سلك الامام الطيبي – سبيل التفضيل في الكشف عن وجوه الاستدراج البليغ.

في مثل هذه الاية وغيرها. ومواضع اخرى مثل قوله تعالى ﴿ **أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ** ﴾ الرعد/٣٣، احتجاج من باب الاستدراج.

والهمزة: للتقرير، المعنى: اتقولوه بافواهكم من غير روية وانتم الباء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه.

---

[١] المثل السائر ح٢/٦٤.

[٢] تفسير الوسيط ح٧/٤٨٨.

[٣] ابن الاثير/ المثل السائر ح٢/٦٦.

وقد ذكر الشهاب الخفاجي: مما روي عن " الامام علي بن ابي طالب" رضي الله عنه وارضاه. نقله صاحب التفسير الوسيط عن الطيبي.

انه قال لبعض ممن تشكك في البعث والاخرة.

ان كان الامر كما تقول من انه لا (قيامة) فقد تخلصنا جميعا، وان لم يكن الامر كما تقول فقد تخلصنا وهلكت، ثم قال (الشهاب) تنبيه هذا النوع يسمى استدراجا[1].

فكأن قول (ابن الاثير) يكاد يجعل الاستدراج مرادفا لمصطلح البلاغة.

اولا: ونضع في خاتمة الدراسة بعض اسئلة منها:

السؤال الاتي هل يجمع الاستدراج وتركيب الاستفهام في سياق واحد

الجواب: نعم قد يقع الاستدراج في اسلوب الاستفهام نحو:

قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾ التكوير/٨-٩

قال اهل اللغة: في توجيه السؤال الى المؤودة: (باي ذنب قتلت)؟

في ذلك الحشر ادخال الروع على من وأدها، وجعل سؤالها عن تعيين ذنب اوجب قتلها.

للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابها.

شهادة على من وأدها، فيكون استحقاقه العقاب اشد وأظهر.

وجملة: (بأي ذنب قتلت) بيان لجملة (سئلت).

و"أي" اسم استفهام يطلب به تميز شئ من بين اشياء تشترك معها والاستفهام في "بأي ذنب": تقريري.

واذا سئلت عن تعيين الذنب الموجب قتلها دون ان تسأل عن قاتلها، لزيادة التهديد، لان السؤال عن تعيين الذنب مع تحقق الوائد الذي يسمع ذلك السؤال ان لا ذنب لها اشعار للوائد بانه غير معذور فيما صنع لها. وينتزع من قوله تعالى "سئلت باي ذنب قتلت".

الوارد في سياق نفي ذنب عن المؤودة بوجب قتلها، استدلالا على ان:

من ماتوا من اطفال المشركين لا يعتبرون مشركين مثل ابائهم[2].

قال الزمخشري في (الكشاف): فان قلتُ: فما معنى سؤال المؤودة عن ذنبها.

وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟.

قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها. وانما قيل (قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها)[3].

---

[1] ينظر/ تفسير حاشية الشهاب للخفاجي على تفسير البيضاوي ح٤٦/٢، التفسير الوسيط ح٨٨/٧.

[2] التحرير والتنوير ١٤٦/٣٠.

[3] ينظر/ الكشاف ح٥٣٣/٤.

واعلم ان "الافتتاح" بـ (اذا) مشوق لان "اذا" ظرف يستدعي متعلقا ولانه ايضا شرط يؤذن بذكر جوابه بعده، فاذا سمعه السامع ترقب ما سياتي بعده.

فعند ما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة ب "الاطناب".

يتكرار كلمة "اذا، وتعدد الجمل التي اضيفت اليها اثنتي عشرة مرة.

وخلاصة القول هنا ان اعادة كلمة "اذا" بعد "الواو" العطف في هذه الجمل المتعاطفة "اطناب" قصد به التهويل والترهيب.

كذلك في اعادة "اذا" اشارة الى ان مضمون كل جملة من هذه الجمل مستقل.

بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بقطع النظر عن تفاوق زمان حصول الشروط

فان زمن سؤال المؤودة ونشر الصحف اقرب لعلم النفوس بما احضرت اقرب من زمن تكوير الشمس وما عطف عليه مما يحصل قبل البعث. ولعل من المفيد ان نشير الى امرين، الاول هو ان بعض النحاة الكوفيين قد اجازوا وقوع شرط" اذا " جملة غير فعليه وهو الراجح لان اذ غير عريقة في الشرط.

اما اذا لم تكررت "اذا" تقدم (الفعل) على الفاعل، احفظت الجملة رتبتها، فلا تتكرر "اذا"

﴿ **فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** ﴾ الرحمن/٣٧.

﴿ **إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ* وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ* وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ** ﴾ الانشقاق/١-٥.

الاسم المرفق اذا تكرر تصدرت "اذ" الجملة فيتقدم الاسم على الفعل كما في سورة التكوير.

وخلاصة الاطناب بتكرار كلمة "اذا"، وتعددت الجمل الى التي اضيفت اليها "اثنتي عشرة" مرة، وهو اطناب اقتضاه قصر التهويل.

وفي السياق نفسه، نجد ان وقوع الاسم بعد (اذا) يقع الفعل في كل المواضع كما في سورة التكوير، اما اذا وقع الفعل مباشرة، فلا تتكرر الواو، كما في سورة (الانفطار).

ثانيا: في اعادة "اذا"، اشارة الى ان مضمون كل جملة من هذه الجمل مستقل بحصول مضمون جمل الجواب، عند حصوله بقطع الحظر وتفاوت ازمان حصول الشرط، فان زمن سؤال المؤودة، ونشر الصحف أقرب لعلم النفوس بما احضرت.

ثالثا: المهم هنا ان سؤال "المؤودة": سؤال (تعريض) بالتوبيخ والتخطئة الذي مراد فيه.

تهديد وائدها، وترهيبه بالعذاب.

يقول الالوسي، توجيه السؤال الى المؤودة في قوله تعالى "سئلت" دون (الوائد) مع ان الذنب له دونهما لتسليتهما، واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، واسخاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته، فان المجني عليه، اذا سئل بمحضر الجاني، تثبت اليه الجناية دون الجاني

كان ذلك بعثا للجاني على التنكير في حال نفسه، وحال المجني عليه، فيرى براءة ساحته وان الفاعل هو استحق العذاب وفي الختام، فان القراءة المتأنية للنص الكريم، تفصح عن اسلوب الاستدراج، الاستحقاقي لمنزلة المؤودة[1] ومقام في "عليين"، واستحقاق من وأد التوبيخ والتخطئة.

تأمل قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ الرعد/٣٢.

﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ الرعد/٣٣.

﴿ **لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ الرعد/٣٤.

فقد اشار بعض المفسرين الى ما في الاية الكريمة من احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان.

فهو احتجاج من باب "الاستدراج" لبعثهم على التفكير:

أي: اتقولون بافواهكم من غير روية وانتم البلغاء فتفكروا فيه للتثقفوا على بطلانه.

قال اهل المعاني: (الاستدراج) ان يتدرج الى الشئ في خفية قليلا قليلا.

فلا بباغت ولا يجاهر.[2]

استهزأ قوم نوح به – عليه السلام – وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، واستهزأت عاد بهود – عليه السلام – (فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين).

(والاستهزاء) مبالغة من الجزء مثل المبالغة في السخرية، والاملاء الامهال والترك قوة والاستفهام في " فكيف كان عقاب " للتعجيب".

و(عقاب) اصله عقابي .. والكلام تسلية للنبي (عليه السلام)، والمؤمنين ووعيد للمشركين

ومعنى "الاملاء" في آل عمران، أي: سخر بهم، (وازرى عليهم) فامهلت الكافرين مدة ليومن من كان علمي انه يؤمن.

منهم: فلما حق القضاء اخذتهم بالعقوبة.

(فكيف كان عقاب): أي فكيف رأيتم ما صنعت بهم فكذلك اصنع بمشركي قومك.

(افمن هو قائم على كل نفس، بما كسبت) هو بمعنى التولي لامور الخلاف – أي يقدرها على الكسب ويخلقها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها.

---

[1] ينظر/ الكشاف ٣٣/٤، التحرير والتنوير ١٤٦/٣.

[2] المثل السائر ح٦٤/٢، الطنطاوي، التفسير الوسيط ح٤٨٨/١.

الجواب محذوف، والمعنى أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل "وجعلوا لله..." أي: سموا لله شركاء يعني" اصناما" جعلوها آلهة.

أي: قل لهم يا محمد " سموهم" أي: بينوا اسماءهم على صفة التهديد أي: انما يسمون "اللات" و"العزى" و"مناة" و"هبل".

ام تنبئونه بما لا يعلم من الارض.

"ام" استفهام توبيخ، أي اتنبؤنه.

لان قوله (سموهم) معناه: الهم اسماء الخالقين ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض وقيل: المعنى: قل لهم اتنبئون الله بباطن لا يعلمه ام بظاهر من القول بعلمه؟

فقل لهم: "سموهم"، فاذا سموهم " اللات والعزى".

فقل لهم: ان الله لا يعلم لنفسه شريكا.

اخبرونه بذلك شاهدين ام يقولون محتجين.

"بل زين للذين كفروا مكرهم" أي : دع هذا، بل" استدراك"، أي: ليس لله شريك فكن زين للذين كفروا مكرهم: وعلى قراءة (الجماعة)، فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى ويجوز ان يسمى الكفر مكرا، لان (مكرهم بالرسول) كان كفرا. "وصدوا عن السبيل" أي: صدهم الله، وهي قراءة "حمزة" والكسائي. "ومن يضلل الله" بخذلانه فما له من هاد أي "موفق".

ومعظم القراء يقفون على الدال من غير "الياء" وكذلك "وال" و، "واق" فتخذت الياء لسكونها والتقائها مع التنوين.

"لهم عذاب في الحياة الدنيا". أي: للمشركين الصادين بالقتل والسبي والاسار، وغير ذلك– ولعذاب الاخرة أشق: أي: اشد.

"ومن يضلل الله فما له من هاد" لان هذا التهديد يومئ الى وعيد يسأل عنه السامع وتنكير "عذاب" للتعظيم وهذا عذاب القتل والخزى والامر واضافة "عذاب" الى الاخرة على معنى (من).

﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ* قُل لّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ* قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

سبأ/٢٣-٢٨[1]

[1] ينظر/ الكشاف ح٢/٢٩٣.

الخاتـــمة

ومـا دام لكـل محاولـة مـن بدايـة وخاتمـة، فاننـا وجـدنا ان هـذه الدراسـة الميدانيـة التطبيقيـة الواسـعة قد اكدت إحدى إشارات الإعجاز البياني العظيم، ومنها ظـاهرة (الاستدراج) وهـي من اساليب بديعة شائعة لها أثرها في بلاغة الاعجاز القرآني.

فتأمل مواضـع الاستدراج، وتعدد انماطـه، وتنوع فنونـه، ووفرة اشاراته في هذا النظم العظيم وقد تدبر السياق في ايثار هذا الاسلوب المعجز، وبلاغته.

ولان ختام القول الكريم مسك فتأمل هذه الاشارة

من اشارات التحدي والاعجاز في السياق القرآني:

ولان الاستدراج يقتضي ان نتأمل قوله تعالى:

﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ الاسراء/٨٨.

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ** ﴾ هود/١٣.

وفي سورة البقرة: ان كنتم في غيب مما نزلنا على عبدنا ﴿ **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ البقرة/٢٣، فتأمل التدرج في عرض العدد، والكشف عن التحدي في الاستدراج الذي يكشف عن تحديهم واظهار عجزهم.

الشـــواهد القرآنيـــة

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
البقرة		
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	٢٩
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه ﴾	٥٤	٣٠
﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾	٦٧	٣٠
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾	٧٠	٣٠
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾	٦٨	٣٠
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾	٦٩	٣١
﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	١٣٧	٥٨
﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٢٣	٨٩
ال عمران		
﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	١٥٦	٢٠
﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	١٥٧	٢٠
﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾	١٥٨	٢٠
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	٢٠
﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٦٠	٢٠
﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾	١٧٨	٤٨
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٨٥	٦٥
النساء		
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾	١٤٢	١٦، ٦٩
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	٢٠

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
النساء		
﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٣	٢٠
المائدة		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٩٤	١٢
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ ..... عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١١٦	١٨، ٤٩، ٥٤، ٦٧
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١١٨	٤٥
﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ﴾	١١٦	٤١، ٥٥
الانعام		
﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴾	٨٠	٣٤، ٧٣، ٧٤
﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾	٧٧	٣٥
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾	٤٤	٤٨
الاعراف		
﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨٢	٨، ١٧
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	٥٩	١٩
﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	٦٠	١٩
﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٦١	١٩
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٦٢	١٩

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
التوبة		
﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾	٥٥	٤٨
يونس		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾	٧	٢١
﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾	٨	٢١
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩-١٠	٢١
﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	١٥	٢١
﴿ قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾	١٦	٢١
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾	١٧	٢١
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١٨	٢١
﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	١٩	٢١
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾	٢٠	٢١
﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾	٢١	٢١
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾	٣١	٢٧، ٧٠
﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾	١٨	٥٢

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
يونس		
﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾	٣٣	٦٠
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَـبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُـعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾	٣٤	٦٠
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾	٣٥	٦٠
﴿ وَمَا يَـتَّبِعُ أَكْثَـرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّـا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُـغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيـمٌ بِـمَا يـَفْعَلُونَ ﴾	٣٦	٦٠
﴿ أَمْ يـَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُـواْ بِسُـورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَـطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٣٨	٦٠
﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾	٣٩	٦٠
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾	٣١	٢٧، ٧٠
هود		
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتاني مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾	٦٣	١٧، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ٧٧
﴿ قالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾	٢٨	١٨، ٦٣، ٦٨
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	٣٣	١٩
﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَان اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤	١٩
﴿ إِنْ كَان اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤	١٩
﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾	٣٦	١٩
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾	٣٧	١٩
﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾	٣٨	١٩

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
هود		
﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾	٦٣	٥٠
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾	٣٥	١٩، ٥٤، ٦٦
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾	١٣	٨٩
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾	٢٨	٦٤
يوسف		
﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾	٢١	٢٤
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ..... وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾	٣١-٣٢	٢٤
﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ ..... لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾	٣٣-٣٥	٢٤
﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ..... هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾	٢١-٢٣	٢٤
﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ..... إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾	٢٣	٢٥
﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٢٥	٢٥
﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾	٤١	٣٢
﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾	٤٠	٣٣
﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾	٣٩-٤٠	٧٢
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾	٤٠	٧٢
الرعد		
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ..... وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	٣٣	٤١، ٥٢، ٨٤، ٨٧
﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾	٣٤	٤١، ٨٧
﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ ..... فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾	٣٢	٨٧

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
ابراهيم		
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٥	٤٥
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	٦	٤٥
الاسراء		
﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	٨٨	٨٩
الكهف		
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾	٣٢-٣٤	٢١، ٣٥، ٦١
﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا ﴾	٣٧	٢٢
﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	٤٢	٢٣
﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْباناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾	٤٠	٢٤
﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾	٤٣	٢٤، ٦٣
﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾	٣٥	٦٢
﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	٤٤	٦٣
﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالا وَوَلَدًا ﴾	٣٩	٣٦
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ .....خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	٣٢-٤٤	٦١
مريم		
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ..... فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾	٤١-٤٥	٥٩
طه		
﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..... وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾	١٣١	٤٨

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
الانبياء		
﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالينا تُرجَعون ﴾	٣٥	١٢
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤–٣٥	٣٩، ٧٥
﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾	١٠	٨٣
﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ..... جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾	١١–١٥	٨٣
المؤمنون		
﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾	٧٧	٤٨
النمل		
﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾	٤٠	١٢، ٢٦، ٤٠، ٤٥
الروم		
﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾	٤٩	٤٨، ٤٩
﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	٧٢
سبأ		
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾	٢٢	٥٠
﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ ..... هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٢٣–٢٧	٥٠
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾	٢٤	٥٧، ٥٩، ٧٧، ٨٤
﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ ..... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾	٢٣–٢٨	٨٨
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ..... هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٢٢–٢٧	٧٦

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
فاطر		
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾	٣٢	٣٩، ٧٦
يس		
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	١٣	٢٠
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾	١٤	٢٠
﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾	١٥	٢٠
﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	١٦	٢٠
﴿ ومَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾	١٧	٢٠
﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٨	٢٠
﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	١٩	٢٠
الزمر		
﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	٧	٢٦
﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ..... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾	٨–٩	٢٦
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾	٣٨	٧٩
﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ ..... عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	٣٨–٣٩	٧٩
﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾	٣٦	٧٩

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
غافر		
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	٢٨	١٦، ٧٧
﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٢٩	٤٤
﴿ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾	٤٣	٨١
﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ..... وَيَـوْمَ يَقُومُ الأَشْـهَادُ ﴾	٤٤–٥١	٨١
﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ* إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾	٥٠–٥١	٨٢
الزخرف		
﴿ وهم فيه مبلسون ﴾	٧٥	٤٨
النجم		
﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى ﴾	١٩–٢١	٧٩
الرحمن		
﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾	٣٧	٨٦
القلم		
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾	٤٤	١٦، ١٧
الجن		
﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾	١٨	٢٧، ٦٧
﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾	٢١	٢٧
﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾	٢٣	٢٧

اسم السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
الجن		
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾	١٩	٢٧، ٦٧
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾	٢٠	٢٧
﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾	٢٤	٢٧
﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾	٢٥	٢٧
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	٢٦	٢٧
﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ..... وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾	٢٤-٢٨	٦٨
النازعات		
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾	٢٤	٨٣
التكوير		
﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾	٨-٩	٥١، ٨٥
الانشقاق		
﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ* وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ* وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾	١-٥	٨٦
الكافرون		
﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾	٢-٣	٥٤

من روافد الدراســة

لعل من الامانة العلمية ان نذكر هنا ان بعض كنوز (التفسير) ومؤلفات (معاني القرآن) و(لباب) اساليب التعبير القرآني، قد رافقت هذه المحاولة، فأعانتها، وقومت خطواتها.

وفي مقدمة هذه الروافد (كتاب الكشاف) للزمخشري، و(البحر المحيط) لابي حيان وكتاب (التحرير والتنوير) ومنهاج البلغاء للقرطاجني، والطراز للعلوي، والتبيان للطيبي.

والمثل السائر – لابن الاثير، فلعل تلك العيون قد روت عطش البحث عن المزيد من (التنويرات) وليتها قد سقت هذا النظم المعجز لفظا عذبا فراتا سائغ شرابه لذة للشاربين من الناس اجمعين.

– القرآن الكريم –

١) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم الشهير بـ (تفسير) ابي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي – دار الكتب العلمية بيروت ط (٣) سنة ١٩٩٩م.

٢) البحر المحيط ابو حيان الاندلسي – دراسة وتحقيق/ الشيخ (عادل احمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣) التبيان في المعاني والبيان – المؤلف الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي: المحقق هادي عطية مطر الهلالي، النشر: عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة، بيروت (لبنان) ١٩٨٧.

٤) التحرير والتنوير – الموسوم بـ (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد) – محمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر/١٩٨٤.

٥) التعريفات – علي بن محمد الجرجاني – تحقيق /ابراهيم الابياري – دار الكتاب العربي ١٩٨٥.

٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن الشهير (تفسير الثعالبي محمد بن مخلوف الثعالبي) – مؤسسة الاعلمي.

٧) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي تحقيق احمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق ١٩٨٦.

٨) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – الجوهري – اسماعيل بن حماد/ تحقيق احمد عبد الغفور العطار – دار العلم للملايين بيروت، ١٤٠٥.

٩) الطراز المتضمن لاسرار البلاغية وعلوم حقائق الاعجاز/ يحيى ابن علي العلوي– مراجعة وتدقيق العلماء باشراف (علماء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

١٠) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) المحقق: د. عبد الحميد هنداوي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١١) العين: الخليل بن احمد الفراهيدي – تحقيق أ.د مهدي المخزومي/ أ.د ابراهيم السامرائي – دار الرشيد – بغداد ١٩٨٠ – ١٩٨١.
١٢) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر – ضياء الدين الجزري المعروف (ابن الاثير) الكاتب تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – ١٩٨٥.
١٣) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز الشهير بـ (تفسير ابن عطيه) الامام القاضي ابو محمد ابن عطيه الاندلسي – تحقيق/ عبد الله ابن ابراهيم الانصاري.
١٤) الكشاف عن حقائق التنزيل الشهير بتفسير (الزمخشري جار الله الزمخشري ضبط وتوثيق) – اي عبد الله الداني الزهوي – دار الكتاب العربي / لبنان ط (١) ٢٠٠٦/١٩٨٦.
١٥) المفردات في غريب القرآن – الراغب الاصفهاني – تحقيق صفوان عدنان داود – دار القلم – دمشق – ٢٠٠٥.
١٦) تفسير البغوي – وهو ما يسمى بمعالم التنزيل الشهير (تفسير البغوي) للغراء البغوي – تحقيق (محمد بن عبد الله النمر)، وآخرين – دار طيبة– الرياض – ١٩٩٧م.
١٧) تفسير البيضاوي – انوار التنزيل واسرار التأويل، الشهير بـ (تفسير البيضاوي) للامام ابو سعيد البيضاوي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٨م.
١٨) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) – الفخر الرازي (محمد بن عمر) المطبعة البهية – المصرية.
١٩) تفسير الوسيط: الاستاذ (محمد سيد طنطاوي) دار الشروق – القاهرة – ط (٢)/٢٠٠٠.
٢٠) جامع البيان عن تأويل أي القرآن الشهير (بتفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري– تحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر– دار المعارف– القاهرة – ط٢.
٢١) حاشية الشهاب الخفاجي – على تفسير (البيضاوي).
٢٢) روح البيان – اسماعيل حقي البرساوي.
٢٣) روح المعاني لابي الثناء الالوسي – دار احياء التراث العربي– بيروت، ١٩٨٢.
٢٤) شرح نهج البلاغة – كمال الدين البحراني، ط٢٠١٢/١– مكتبة فخراوي– ط٢٠١٢/١ – المنامة – البحرين.
٢٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية مع علم التفسير الشهير – تفسير الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة/ط (٢)/ ١٣٨٣.

٢٦) كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر ابو الهلال العسكري– تحقيق علي البجاوي ومحمد ابو الفضل – مطابع (عيسى البابي الحلبي) – دار الكتاب، ط٢، ١٩٧١.
٢٧) لسان العرب ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الانصاري – بيروت/لبنان – ٢٠٠٥م.
٢٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل الشهير (تفسير النسفي ابو البركات النسفي)، دار الكتاب العربي – بيروت.
٢٩) مصطلح الاستدراج– (بحث) منشور في مجلة (كلية اللغة العربية – المحكمة– أ.د محمد عبدالرحمن الخراز، مصر/الزقازيق ٢٠١٠، ص٨٤١ – ٨٤٢.
٣٠) معاني القرآن – ابو زكريا الفراء/ تحقيق محمد علي النجار/ دار الكتب المصرية القاهرة/١٩٥٥م.
٣١) (منهاج البلغاء وسراج الادباء)، القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجه– ط٤ – ٢٠٠٧.
٣٢) معجم الفاظ القرآن مجمع اللغة العربية.
٣٣) نظم الدرر في تناسب الايات والسور – برهان الدين البقاعي (مكتبة ابن تيمية)/١٩٨٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الدراســة

لا نـزعم فـي هـذه الخلاصـة، ان نكـشف عـن إشـارات جديـدة لـم يـصل اليهـا اهل البيـان او جمهور المفسرين او عند جهود البلاغة القرآنية في صفحات " التحرير والتنوير" بل نعلن عن ان قدرتنا لم تتجاوز ان نلخص اطراف التفسير في إحدى إشارات الإعجاز القرآني ونحن على يقين في ان الإعجاز المبين قد زكاه ربي ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ لقمان/٢٧.

وقال تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ الكهف/١٠٩.

كذلك نعلم علم اليقين ان صفوفا وافواجا قد نذرت نفسها للكشف عن بعض اسرار ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ البقرة/٢، فتنوعت فنونه الاعجازية في (الحرف) و(في اللفظ) بل في (المفردة) بعينها ووصفها ثم (الجملة)، بانواعها وصفية خبرية او انشائية، بانواعها، ثم وظيفتها او ابتدائية، فرعية او رئيسة اقتضت تتبعها من تفسير (الفراء) الى تفسير الطبري، ومن ثم الى تفسير الوسيط – للشيخ (الطنطاوي) وقد انجزت بحوثهم تراكيب وعلاقات لغوية وبلاغية عظيمة، مثل (الترادف) وجملة (التضاد) و(القسم) و(الاشتراك) والالتفات ثم جملة (الاستدراج) التي خصتها الدراسة ببعض ما تستحق من إشارات اهل اللغة والبلاغيين القدامى المحدثين فنزعم اننا بانجاز هذه المحاولة نصل إلى بعض ما نصبوا اليه وهو الكشف عن (اسلوب الاستدراج) الذي نطمح أن نصل به إلى ما يستحقه في تحليله الدلالي والبلاغي، فقد نكتب بهذه المحاولة سطراً نلبي ذلك و(الله لا يضيع اجر العاملين).

كشف تفصيلي لمحتويات الدراسة

المفردة	الصفحة
المقدمة اولا – تقديم فكرة موجزة لبعض المصطلحات الاسلوبية القريبة من مصطلح (الاستدراج)	٥-٦
التمهيد	٧
ثانيا- التمهيد	٨
المطلب الاول: الاستدراج في اللغة	٨
المطلب الثاني: الاستدراج في الاستعمال	٨
المطلب الثالث: ملاحظات في تأصيل ظاهرة الاستدراج	٩-١٣
الفصل الاول	١٤
المبحث الاول: بلاغة الاعجاز في ظاهرة الاستدراج	١٥-١٨
المبحث الثاني: من اساليب الاستدراج في الحوار القرآني	١٩
المطلب الاول: اسلوب الاستدراج في ايات من سورة (هود)	١٩-٢١
قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ هود/٣٣	١٩
﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ..... رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ هود/٣٤	١٩
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ..... وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود/٣٥	١٩
﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ ..... كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ هود/٣٦	١٩
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ ..... ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ هود/٣٧	١٩
﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ..... مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ هود/٣٨	١٩
من سورة الاعراف: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا .....عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الاعراف/٥٩	١٩
﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الاعراف/٦٠	١٩
﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الاعراف/٦١	١٩
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الاعراف/٦٢	١٩
من سورة يس: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ يس/١٣	٢٠
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ يس/١٤	٢٠

المفردة	الصفحة
﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ .....إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ يس/١٥	٢٠
﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ يس/١٦	٢٠
﴿ ومَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ يس/١٧	٢٠
﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا ..... مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يس/١٨	٢٠
﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ يس/١٩	٢٠
من سورة ال عمران ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ آل عمران/١٥٦	٢٠
﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ ..... خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ آل عمران/١٥٧	٢٠
﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ آل عمران/ ١٥٨	٢٠
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ..... يُحبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران/١٥٩	٢٠
﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ ..... فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران/١٦٠	٢٠
من سورة يونس: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ..... آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ يونس/٧	٢١
﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ يونس/٨	٢١
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ..... الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس/٩-١٠	٢١
﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ..... عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس/١٥	٢١
﴿ قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ ..... أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ يونس/١٦	٢١
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ..... لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس/١٧	٢١
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ..... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس/١٨	٢١
﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ ..... فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس/١٩	٢١
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ ..... مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ يونس/٢٠	٢١
﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ ..... يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ يونس/٢١	٢١
المطلب الثاني: انموذج اخر لاساليب الاستدراج للمحاورة المتقابلة بين طرفين	٢١-٢٤
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا ..... وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الكهف/٣٢-٣٤	٢١
﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ ..... صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ الكهف/٤٠	٢٤
﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ الكهف/٤٣	٢٤

المفردة	الصفحة
المطلب الثالث: تطبيقات بليغة بديعة لفنون الاستدراج باسلوب الحوار في اركان القصة القرآنية في سورة يوسف	٢٤-٢٥
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ..... وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ يوسف/٣١-٣٢	٢٤
﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ ..... لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ يوسف/٣٣-٣٥	٢٤
﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ يوسف/٢١	٢٤
﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ..... فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ يوسف/٢١-٢٣	٢٤
﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ..... إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يوسف/٢٣	٢٥
﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ..... أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يوسف/٢٥	٢٥
المبحث الثالث: من فنون الاستدراج: الاستدراج الضمني، (الخفي)	٢٦-٣١
﴿ إن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ ..... عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الزمر/٧	٢٦
﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ..... أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ الزمر/٨- ٩	٢٦
﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ ..... غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل/٤٠	٢٦
﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن/١٨	٢٧
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن/١٩	٢٧
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ الجن/٢٠	٢٧
﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ الجن/٢١	٢٧
﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الجن/٢٢	٢٧
﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ الجن/٢٣	٢٧
﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ الجن/٢٤	٢٧
﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ الجن/٢٥	٢٧
﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ الجن/٢٦	٢٧
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ .....اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ يونس/٣١	٢٧
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ..... إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة/٣٠	٢٩
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ..... فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ البقرة/٦٨	٣٠
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ..... تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ البقرة/٦٩	٣١
﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا ..... اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة/٧٠	٣٠

المفردة	الصفحة
المبحث الرابع المطلب الاول: فن الاستدراج في اسلوب الرؤيا	٣٢-٣٣
﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ يوسف/٤١	٣٢
﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف/٤٠	٣٣
المطلب الثاني: اثر ظاهرة الاستدراج في الكشف عن القيم الاخلاقية	٣٣-٣٥
﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي ..... عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ الانعام/٨٠	٣٤
المطلب الثالث: ظاهرة (التقابل) في نظم الاستدراج	٣٥-٣٧
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا ..... مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا* ﴾ الكهف/٣٢-٣٤	٣٥
﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ..... مِنكَ مَالا وَوَلَدًا ﴾ الكهف/٣٩	٣٦
الفصل الثاني	٣٨
المبحث الاول: اهمية الاستدراج في التعبير عن الخير والشر	٣٩-٤١
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ..... فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الانبياء/٣٤-٣٥	٣٩
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ ..... هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر/٣٢	٣٩
﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ..... رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل/٤٠	٤٠
المبحث الثاني: فائدة الاحتجاج باسلوب الاستدراج	٤١-٤٥
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ..... فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد/٣٣	٤١
﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ ..... مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ الرعد/٣٤	٤١
﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ﴾ المائدة/١١٦	٤١
﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ ..... وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ غافر/٢٩	٤٤
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائدة/١١٨	٤٥
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى ..... لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ابراهيم/٥	٤٥
المبحث الثالث: الاستدراج للدلالة على الخير والشر	٤٥-٤٦
﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ ..... فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيم ﴾ النمل/٤٠	٤٥

المفردة	الصفحة
الفصل الثالث: من المستوى البلاغي والدلالي لاسلوب الاستدراج	٤٨
المبحث الاول: (بلاغة الاستدراج)، ام (استدراج البلاغة)	٤٨-٥١
﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ ..... أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ التوبة/٥٥	٤٨
﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ..... رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه/١٣١	٤٨
﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ال عمران/١٧٨	٤٨
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ..... فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ الانعام/٤٤	٤٨
﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ الروم/٤٩	٤٨
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ..... أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائدة/١١٦-١١٨	٤٩
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ..... مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ/٢٢	٥٠
﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ ..... هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سبأ/٢٣-٢٧	٥٠
الاستدراج فن من البديع بديع	٤٩
أما الالتفات فهو من فنون "الاستدراج"	٥١
راي (القرطاجني)، و(الالوسي) في الاستدراج في ضوء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ التكوير/٨-٩	٥١
المبحث الثاني/ قال اهل البلاغة	٥١
المبحث الثالث: شواهد في الحكمة من الاحتجاج باسلوب الاستدراج	٥٢-٥٤
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ..... فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد/٣٣	٥٢
﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يونس/١٨	٥٢
المبحث الرابع: تنوع اساليب تركيب الاستدراج، ومنها ما يمكن ان نسميه (التقديم الاستدراجي)	٥٤-٥٥
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود/٣٥	٥٤
﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ الكافرون/٢-٣	٥٤
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ..... أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة/١١٦	٥٤

المفردة	الصفحة
الفصل الرابع: من مواضع الاستدراج في مخاطبات الانبياء وخطابتهم	٥٧
المبحث الاول: من مخاطبات الانبياء	٥٧-٦٥
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ..... تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هود/٦٣	٥٧
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ..... فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/٢٤	٥٧
﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ ..... وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة/١٣٧	٥٨
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ..... فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ مريم/٤١ – ٤٥	٥٩
﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس/٣٣	٦٠
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم ..... فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ يونس/٣٤	٦٠
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن ..... لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ يونس/٣٥	٦٠
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ..... بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ يونس/٣٦	٦٠
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ..... إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس/٣٨	٦٠
﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ ..... كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ يونس/٣٩	٦٠
محاولة تدبر نظم الاستدراج في المحاورة والاعجاز في سياقات الاستدراج	٦١
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ ..... خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف/٣٢-٤٤	٦١
﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ الكهف/٤٣	٦٣
﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف/٤٤	٦٣
المبحث الثاني: من مواضع الاستدراج في محاورة الانبياء واقوامهم	٦٣
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ..... وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود/٢٨	٦٣
﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ البقرة/١٣٧	٦٥
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ هود/٣٥	٦٦
من شواهد الاستدراج في محاورة الانبياء (صلوات الله عليهم)	٦٧
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ..... أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة/١١٦	٦٧
﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن/١٨	٦٧
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن/١٩	٦٧
﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ..... وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ الجن/٢٤-٢٨	٦٨

المفردة	الصفحة
مخاطبات الانبياء ومحاورات اقوامهم	٦٨
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ ..... وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود/٢٨	٦٨
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ .....غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هود/٦٣	٦٨
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم .....أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ يونس/٣١	٧٠
﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ..... أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ يوسف/ ٣٩-٤٠	٧٢
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ ..... النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف/٤٠	٧٢
﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ..... عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ الانعام/٨٠	٧٣
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ ..... وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الانبياء/٣٤-٣٥	٧٥
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ..... هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر/٣٢	٧٦
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ..... هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سبأ/٢٢-٢٧	٧٦
المبحث الثالث: الاستدراج من اساليب الكلام البليغ	٧٧-٨٩
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ..... مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر/٢٨	٧٧
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزمر/٣٨	٧٩
﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ ..... فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الزمر/٣٨-٣٩	٧٩
اللطف والحجة في نظم الاستدراج القرآني	٨١
﴿ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي..... هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ غافر/٤٣	٨١
﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ..... وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ غافر/٤٤-٥١	٨١
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ..... وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد/٣٣	٨٤
﴿ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ الرعد/٣٣	٨٤
﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ ..... مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ الرعد/٣٤	٨٧
﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ ..... النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ/٢٣-٢٨	٨٨
الخاتمة	٨٩
الشواهد القرآنية	٩٠-٩٩
من روافد الدراسة	١٠٠-١٠٢
خلاصة الدراسة	١٠٣